أذكار وأدعية

الوباء / كورونا

وغيره

من القرآن والسنة الصحيحة

التحصن
باسم الله

الصلاة
على النبي ﷺ

التحصن
بالقرآن الكريم

التحصن
بكلمات الله

الصلاة

الاستغفار

أدعية الكرب

أدعية العافية

تأليف
محمد شوماه

أذكار وأدعية

الوباء / كورونا

الطبعة الأولى ١٤٤١ هـ

أذكار وأدعية

الوباء / كورونا

وغيره

تأليف

محمد شومان الرملي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، القائل: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١].

أي: للعبد ملائكة يتعاقبون فيه بالليل والنهار، يحفظونه ويحرسونه من الشرور والآفات والحوادث والنوازل، فلا يصل إليه سوء ولا ضر، ولا يناله مكروه ولا شر، إلا إذا أراد الله به ذلك، فعندها تتخلى عنه الملائكة، وتنفذ إرادة الله تعالى فيه.

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإنني أكتب هذه الكلمات في وقت قد تفشى فيه ـ والعياذ بالله ـ وباء عالمي، يسمى (كورونا)، وقد انتشر في معظم دول العالم، وهو الآن وهو في بداياته قد أصاب أعدادًا لا تكاد تحصى، وراح ضحيته الآلاف، نسأل الله تعالى السلامة والعافية من كل شر.

ولما كان الذكر والدعاء هو أعظم ما يحفظ العبدُ به نفسَه ويحميها من الأوبئة والأمراض، وسائر العلل والآفات، كتبت هذه الورقات، وقد اقتصرت فيها على ذكر الأدعية والأذكار العامة والخاصة في التحصن من هذا الوباء وغيره، والتخلص منه لو وقع، لا قدر الله تعالى، وهي فقط! من الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، الثابتة عن النبي ﷺ(١).

---

(١) وفيها الكفاية والهداية، وهي تغني عن كل ما يُتداول ويُنشر على النت والفيس والواتس وغيرها، من أدعية الناس وما يخترعونه! وهل يقاس كلام رسول رب العالمين ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى، والذي أُوتي جوامع الكلِم ومفاتحه، بكلام أحد من البشر؟! فوالله، لا يعدل عن الوارد إلى غيره إلا جاهل أو مأفون، أو خاسر أو مغبون، والحمد لله الذي هدانا للعمل بأدعيته ﷺ وأذكاره وتعظيمها، وجعلنا بفضله لا نعدل عنها أبدًا، ولا نقبل بها بدلًا.

واعلم أن بعض العلل والأوبئة والأمراض، لها أسبابها الحسية والمادية، التي قد يعرفها الأطباء والعلماء، وقد يعرفون أكثرها، وقد لا يهتدون إلى بعضها، أو يتأخرون في معرفتها، ويحتاجون إلى وقت لاكتشاف ما يعالجها أو يخففها من الأدوية.

وبعض العلل والأوبئة قد يكون لها أسباب أخرى معنوية وروحية، وبعضها قد تجتمع فيه من هذه الأسباب ومن هذه، فلا يهتدي إلى علاج النوع الثاني، لا الأطباء ولا العلماء، ولا يمكن أن تعالج إلا بالذكر والقرآن والدعاء، ولا يمكن أن تُدفع إلا بقوة القلب ونوره.

فالتحصينات الربانية، والأذكار والأدعية الشرعية، لا شيء مثلها في الوقاية والحماية من الوباء، والتخلص منه، والقضاء عليه لو وقع، وإذا قام بها العبد كما ينبغي فإنها لا يمكن أن تختل، ولا يمكن أن تنخرم، قولًا حقًّا، ووعدًا صدقًا، أخبرنا به ربنا سبحانه وتعالى، ووعدنا إياه، وكذلك رسوله ﷺ، لا كما يظن من لا يعرف قدر الكلمات الربانية، والأدعية المحمدية، ولا يعرف أسرارها وفوائدها ومنافعها، ويستقلّ شأنها، ويظنها أنها لا تقدِّم ولا تؤخِّر، أو إنما هي للتبرك فقط.

قال ابن القيم[1]: «وقد ورد في الحديث الصحيح أن [الطاعون]: «بقية رجز أُرسل على بني إسرائيل»[2]، وورد فيه أنه «وخز الجن»[3]، وجاء أنه: دعوة نبي[4].

---

(١) «زاد المعاد» (٤/٣٦-٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٦٥) وغيره، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه، أن النبي ﷺ ذكر الطاعون، فقال: «بَقِيَّةُ رِجْزٍ أَوْ عَذَابٍ، أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ». الحديث. وهو بنحوه في الصحيحين».

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٥٣١) وغيره، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي، وَوَخْزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ». الحديث. وهو في «الصحيحة» (١٩٢٨). والوخز: الطعن غير النافذ. كما قال أهل اللغة.

(٤) جاء من قول شُرَحْبِيلَ ابن حَسَنَةَ رضي الله عنه: إنَّها رحمة ربِّكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم. أخرجه ابن حبان (٧٢٧ - موارد) وغيره، وصححه الألباني.

وهذه العلل والأسباب ليس عند الأطباء ما يدفعها، كما ليس عندهم ما يدل عليها، والرسل تخبر بالأمور الغائبة، وهذه الآثار التي أدركوها من أمر الطاعون ليس معهم ما ينفي أن تكون بتوسط الأرواح، فإن تأثير الأرواح في الطبيعة وأمراضها وهلاكها أمر لا ينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وتأثيراتها، وانفعال الأجسام وطبائعها عنها، والله سبحانه قد يجعل لهذه الأرواح تصرفًا في أجسام بني آدم عند حدوث الوباء وفساد الهواء، كما يجعل لها تصرفًا عند بعض المواد الرديئة، التي تحدث للنفوس هيئة رديئة، ولا سيما عند هيجان الدم، والمِرَّة السوداء[1]، وعند هيجان المني، فإن الأرواح الشيطانية تتمكن من فعلها بصاحب هذه العوارض ما لا تتمكن من غيره، ما لم يدفعها دافع أقوى من هذه الأسباب من الذكر، والدعاء، والابتهال، والتضرع، والصدقة، وقراءة القرآن، فإنه يستنزل بذلك من الأرواح الملكية ما يقهر هذه الأرواح الخبيثة، ويبطل شرها ويدفع تأثيرها، وقد جربنا نحن وغيرنا هذا مرارًا لا يحصيها إلا الله، ورأينا لاستنزال هذه الأرواح الطيبة واستجلاب قربها تأثيرًا عظيمًا في تقوية الطبيعة، ودفع المواد الرديئة، وهذا يكون قبل استحكامها وتمكنها، ولا يكاد ينخرم، فمن وفقه الله بادر عند إحساسه بأسباب الشر إلى هذه الأسباب التي تدفعها عنه، وهي له من أنفع الدواء، وإذا أراد الله عز وجل إنفاذ قضائه وقدره، أغفل قلب العبد عن معرفتها وتصورها وإرادتها، فلا يشعر بها ولا يريدها، ليقضي الله فيه أمرًا كان مفعولًا». اهـ.

وقال شيخ الإسلام[2]: «إن كثيرًا من المرضى أو أكثر المرضى يُشْفَوْن بلا تداوٍ، لا سيما في أهل الوبر والقرى والساكنين في نواحي الأرض، يشفيهم الله بما

---

(١) مصطلح طبي عند القدماء، يعني: أحد أخلاط وأمزجة الجسم الأربعة، وهي: البلغم، والـمِرَّة الصفراء، والـمِرَّة السوداء، والدم.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢١/٥٦٣).

خلق فيهم من القوى المطبوعة في أبدانهم، الرافعة للمرض، وفيما ييسره لهم من نوع حركة وعمل، أو دعوة مستجابة، أو رقية نافعة، أو قوة للقلب، وحسن التوكل، إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة غير الدواء». اهـ.

وعن محمد بن خلف قال: سمعت الشافعي يقول: ثلاثة أشياء ليس لطبيب فيها حيلة: الحماقة، والطاعون، والهرم[1].

هذا، ولا بد مع الأدعية والأذكار من الأخذ بأسباب الوقاية والعلاج، والعمل بالإرشادات التي تملى من أهل الاختصاص في هذا الباب، من النظافة والطهارة، والاحتراز من كل ما يضاد ذلك، وتعاهد الجسد والاعتناء به، بالتخلص من كل الملوثات الخارجية والداخلية، والحجر والعزل، وغيرها من التدابير الحكيمة، فإن الأوبئة سرعان ما تنتشر بإهمال ذلك.

وديننا دين النظافة والطهارة، وأدلة الوصية بهذا والحث عليه في الكتاب والسنة لا تكاد تستوعب كثرة، ولا تكاد تحصى عددًا.

قال الله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة:٦].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ». الحديث[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال:

«طَهِّرُوا هَذِهِ الْأَجْسَادَ طَهَّرَكُمُ اللهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ يَبِيتُ طَاهِرًا إِلَّا بَاتَ مَعَهُ مَلَكٌ فِي شِعَارِهِ، لَا يَنْقَلِبُ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ،

---

(١) «الانتقاء» للقرطبي (ص ٩٩).

(٢) أخرجه مسلم وغيره.

فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا»[1].

وفي لفظ: «مَنْ بَاتَ طَاهِرًا بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ، فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلَانٍ، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا».

و(الشعار): هو ما يلي بدن الإنسان من ثوب وغيره، سمي بذلك لأنه يلي شعره.

وأمَر النبي ﷺ بغسل اليدين قبل الأكل وبعده، وعند الاستيقاظ من النوم، وغير ذلك، وأمر بالاستنثار والاستنشاق والمبالغة في ذلك، وأمر بالوضوء والاغتسال، بل وأتى على أسباب الطهارة والنظافة بحذافيرها.

ووعد على الطهارة والنظافة بالأجور العظيمة، وبنى عليها من المنافع الدينية والدنيوية، والفوائد الكثيرة، ما هو معروف مشهور لكل مسلم، وميسر لكل أحد ممن يبتغي معرفة ديننا الحنيف، الموافق للفطرة السليمة، والآدمية الكريمة.

ولو ذهبت أتتبع مادة ذلك ومتعلقاتها في الكتاب والسنة لأتت على مجلدة ضخمة، وإنما قصدت الإشارة فقط، ليُعلم أننا ندعو إلى الطهارة المعنوية بتزكية النفس وسلامة القلب، وإلى الطهارة المادية بكل أشكالها، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

وهذا يشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق السيئة، والصفات القبيحة، والأفعال والأقوال المذمومة، ويشمل التطهر الحسي عن الأحداث والأنجاس والأوساخ.

هذا، وقواعد الإسلام في منع الضرر، ودفعه قدر الإمكان، وجلب المصالح، ودرء المفاسد، وتقديمه على جلب المصالح عند التساوي، وحفظ الضروريات أو الكليات، لا تخفى.

ومن الأحاديث النبوية الدالة على ما ذكرنا:

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٣٦٢١)، وابن حبان في «صحيحه» (١٦٧ - موارد)، واللفظ الثاني له، وغيرهما، وهو في «صحيح الترغيب» (٥٩٧ ـ طبعة المعارف).

قوله ﷺ: «لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»[1].

أي: لا يُورد صاحبُ إبلٍ مريضةٍ إبلَه على إبلِ صاحبِ إبلٍ صحيحة، لئلا ينتقل المرض وتقع العدوى.

وقوله ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا»[2].

وقوله ﷺ: «فِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ»[3].

ويروى أن عمرو بن العاص قام خطيبًا في طاعون عمواس، فقال: أيها الناس، إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار، فتحصنوا منه في الجبال. ثم خرج وخرج الناس، فتفرقوا، فارتفع الطاعون[4].

والمقصود مما تقدم أنه لا بد من الأخذ بالأسباب، والتوكل على رب الأرباب.

فليُقْبِلِ العبدُ على ربه عز وجل، وليتذلل لمولاه، ولينكسر بين يديه، طالبًا عفوه، وراجيًا رحمته، فإنه لا عاصم من أمر الله إلا هو، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب:١٧].

ولا يقابِلَنّ أقدارَ الله تعالى، وما يحل به من المصائب، بقلب قاس، ونفس جَلْدة، وعين جافة، وإنما يقابل ذلك بالخضوع والتضرع، والتوبة والاستغفار،

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

(٣) بعض حديث، أخرجه البخاري (٥٧٠٧) معلقًا، ووصله غيره، وهو في «السلسلة الصحيحة» (٧٨٣).

(٤) «بذل الماعون» (ص ٢٦٨). وكلامه بمعنى إبعاد الناس عن المرض وعزلهم عن بعضهم، ومنع العدوى، ولا يعارض هذا حديثَ الطاعون المتقدم، بل يوافق مقصدَه والمرادَ منه ويعاضده.

والبكاء على الخطيئة ما أمكن، فإنه سرعان ما يرفع الله برحمته البلاء، ويذهب بفضله الوباء، فإنه عز وجل لا حاجة له في عذاب عباده، وإنما هي حكمته البالغة، وأحكامه العادلة.

قال الله تعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء:١٤٧].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۞ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام:٤٢-٤٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف:٩٤].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون:٧٦].

وأعظم علامات تضرع العبد واستكانته لربه سبحانه: كثرة دعائه وابتهاله، واستغفاره ربه عز وجل، وإقباله عليه سبحانه، والتقرب إليه بتلاوة كتابه، وانشغاله بذكره، في جميع الأوقات، وعلى كل الأحيان.

سائلًا الله تعالى، أن يجعل هذا الكتاب عونًا على تحقيق هذا الأمر.

وهذه الآيات تدل، إضافة إلى أدلة أُخَر كثيرة، واستقراء في الكتاب والسنة، وسنن الله تعالى في الابتلاء، وعذاب الأقوام، وما يقدره على عباده، تدل على أن البأساء والضراء، وسائر ما يدخل فيها ويلحق بها، من الأوبئة الفتاكة

والطواعين والأمراض وغيرها، إنما يقدره الله عز وجل على عباده ويبتليهم به فتنة لهم وامتحانًا، ويكون في حق بعضهم عقوبة وسخطًا وعذابًا ووبالًا ونكالًا، ويكون في حق بعضهم رحمة وشهادة وموعظة وتأديبًا وتهذيبًا، بحسب ما أسلفوه فيما مضى من طاعة أو معصية، وبحسب ما يقوم بهم في الحال، من تضرع طائفة منهم واستكانتها لربها وتوبتها إليه وتسليمها له وتغييرٍ لحالها، وتَكَبرِ طائفة وعنادها وإصرارها وعدم اكتراثها، فلا استكانةَ لربها ولا تضرع، ولا تغيير لحالها، ولا تعديل لمسلكها، ولا تصحيح لخطئها.

قال ابن القيم(١): «لولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطَغَوْا وبَغَوْا وعَتَوْا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيرًا سقاه دواءً من الابتلاء والامتحان، على قدر حاله، يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذّبه ونقّاه وصفّاه أهّله لأشرف مراتب الدنيا، وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة، وهو رؤيته وقربه». اهـ

وقال ابن الجوزي(٢): «إنما البلاء المَحْض ما يُشغلك عن الله، فأما ما يقيمك بين يديه ففيه جمالك».

وليَصْدُقِ العبدُ ربَّه تبارك وتعالى وليعطِ العهود والمواثيق، إذا نجاه من هذا الوباء، لا يعود إلى ما كان عليه من المعاصي والآثام والخطايا، خصوصًا تعلق قلبه بغير الله عز وجل، وطاعته ومحبته وتعظيمه وذله وولائه له من دون إلهه وخالقه ومولاه تبارك وتعالى، فإنه ما أُتِي مَنْ أُتِي ولا أُخِذ مَنْ أُخِذ إلا من قِبَل هذه.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤].

---

(١) «زاد المعاد» (١٧٩/٤).

(٢) انظر «صيد الخاطر» (ص ٨٤).

وفي الذين يُخلفون الله ما وعدوه، ويَنكصون على أعقابهم، بعد أن ينجيهم الله عز وجل، ويرفع عنهم ما كانوا فيه من الكرب والشدة، قال سبحانه: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥].

وقال فيهم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۞ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس:٢٢-٢٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ۞ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ۞ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾ [الإسراء:٦٧-٦٩].

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۞ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ۞ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام:٦٣-٦٥].

وإنما ذكرت هذا تبشيرًا قبل أن يكون تخويفًا، لأن الوباء سيزول، والبلاء سيرتفع، وستصير هموم كورونا أحداثًا عابرة، وذكرياتٍ غابرة، بإذن الله تعالى.

وعن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ

مَنْ جَهِلَهُ»[١].

فعلى العبد إذا كُشِف كربُه وهمه وغمه، ورفع الله بفضله عنه هذا البلاء والوباء، أن يشتغل بشكر ربه جل وعلا، الذي أنعم عليه وعافاه، وكشف ما به من ضر، وأن يصرف عمره في طاعته وذكره، وأن لا يكون من أهل الغدر، الذين يلجؤون إلى الله تعالى عند الكرب، ويعدونه تعالى بالتوبة والعمل الصالح، ثم إذا استجاب لهم وكشف ما بهم أعرضوا عنه سبحانه ونسوه، كأن لم يكن بهم كرب، ولم تصبهم شدة، ولم يعذب أرواحهم هم ولا غم، وكأنهم لم يدعوا الله قط!! كما قال الحليم الكريم سبحانه: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [يونس:١٢].

قال ابن سعدي: «فأي ظلم أعظم من هذا الظلم؟!! يطلب من الله قضاء غرضه، فإذا أناله إياه لم ينظر إلى حق ربه! وكأنه ليس عليه لله حق! وهذا تزيين من الشيطان، زَيَّن له ما كان مستهجَنًا مستقبَحًا في العقول والفِطَر». اهـ.

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ [الزمر:٨].

وهذا ينطبق على الناس أجمعين، أفرادًا وجماعات ودولًا، مهما كانت مذاهبهم، ومهما كانت طرائقهم، فإنهم كلهم تحت وطأة هذا الوباء، فليشكروا

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٤٣٨)، وأحمد (٣٨/٧/ ٣٩٢٢، وفي مواضع أُخر - طبعة الرسالة)، واللفظ له، وغيرهما، وهو في «السلسلة الصحيحة» (٤٥١). وأخرج البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً». وأخرج مسلم، عن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

ربهم إذا ما رفعه عنهم وليتقوه، وليتوبوا إليه من معصيته، وليرجعوا عن محادّته عز وجل، ومحادّة رسوله ﷺ، ومحاربة دينه، والتضييق على أوليائه وعباده، والتنكيل بالمستضعفين في الأرض، فإن هؤلاء مع ضعفهم لهم رب ينتقم لهم، وبعينه ما يصيبهم من أعدائهم، وبعينه ما يُصَبّ عليهم من بلاء، من قتل وأسر وتشريد، وتهجير وتجويع وتهديد.

ولو شاء سبحانه لانتقم لهم في ساعة، لكنه عليم حكيم، وغفور حليم! وأنت ترى كيف أن الله تعالى أهلك رأس الكفر والعلو والتجبر في الأرض وجنوده، من أجل فئة قليلة مستضعفة! (وقد وصفوها بقولهم: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴾ [الشعراء:٥٤])، وأورثهم الأرض، وكان ذلك في عشية أو ضحاها، وجعل تمكينهم وهلاك عدوهم بمعجزة لا تخطر على قلب بشر، ولا يمكن تصور قوتها وسرعتها وشمول أثرها، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۞ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء:٦٧-٦٨، وغيرها].

قال سبحانه: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ﴾ [القصص:٥-٦].

هذا، وقد جعلت الأدعية والأذكار في فصول معنونة متنوعة، وذلك لكثرتها، ليسهل على القارئ تناولها، والاستفادة منها والإفادة، ورتبتها ونسقتها بطريقة مقصودة، ليست هكذا! ولا كيفما! بل بدقة عالية، وعناية تامة، إذا تأملها اللبيب ظهر له سرها! إن شاء الله.

ولو شئت لسردتها متتابعة جملة واحدة، ولما أخذتْ مني عشر وقت ما نسقتها فيه، ولكنني قصدت بما فعلته ألا يتشتت ذهن القارئ، فيضعف حضوره فيها، ويقل تركيزه، ولا يقف على أهمية كل ذكر أو دعاء منها.

ولا يَهُولَنّ هذا الكلام قارئًا همه تناول أدعية الوباء على وجه السرعة،

فيحجمه طول الكتاب وكثرة أذكاره وأدعيته، وتنوع أبوابه وفصوله، عن الاستفادة منها، ويدفعه إلى الزهد فيها، والعزوف عنها، فيتركها رأسًا، فإنني أنبهه وأقول له: لا بد للداعي والذاكر حتى تنفعه الأدعية من شروط، وهي لا تأتي هكذا بمجرد سرد ما يقوله وانتهى، فلا بد من الصبر والاطلاع على ما كُتِب.

وبالمقابل، فإنني أطمئنه وأبشره، أنه لا يفتح صفحة من الكتاب، من أوله أو من آخره أو من وسطه، إلا وسيجد فيها فائدة، وستنفعه فيما نحن بصدده من الوقاية من الوباء، بإذن الله تعالى.

والله المرجوّ سبحانه، أن يرفع عن الأمة الشر والبلاء، وأن يقيها الضّر والوباء، ما ظهر من ذلك وما بطن، إنه هو خيرٌ حافظًا، وهو أرحم الراحمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وبالله التوفيق.

وكتب

محمد شومان / رجب ١٤٤١ هـ

تمهيد

ولا بد قبل الدخول في الأدعية والأذكار من ذكر بعض التنبيهات الضرورية، والفوائد المهمة، التي يحتاج إليها الذاكر والداعي، حتى يكون ذكره مؤثرًا، ودعاؤه نافعًا، فمن ذلك:

حضور القلب

اعلم أن حضور القلب في العبادة من صلاة وذكر ودعاء هو روحها، ويُقصد به: تدبر الذاكر معنى ما يجريه على لسانه، وجمع قلبه عليه، مع تنبهه لعظمة الله تعالى وجلاله، واستشعاره لمراقبته.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

ذَكَرَ الله تبارك وتعالى في هذه الآية آدابًا لذكره ـ كما قال القاسمي رحمه الله[١] ـ:

«الأول: أن يكون في نفسه، لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص، وأقرب إلى الإجابة، وأبعد من الرياء.

الثاني: أن يكون على سبيل التضرع، وهو التذلل والخضوع والاعتراف بالتقصير، ليتحقق بذلة العبودية لعزة الربوبية.

الثالث: أن يكون على وجه الخيفة؛ أي: الخوف والخشية من سلطان الربوبية، وعظمة الألوهية، من المؤاخذة على التقصير في العمل، لتخشع النفس، ويخضع القلب.

---

(١) «محاسن التأويل» (٧/٣٣٣-٣٣٢) مختصرًا.

الرابع: أن يكون دون الجهر، لأنه أقرب إلى حسن التفكر.

الخامس: أن يكون باللسان لا بالقلب وحده، وهو مستفاد من قوله: ﴿وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ﴾.

السادس: أن يكون بالغدو والآصال؛ أي: في البكرة والعشي، فتدل الآية على مزية هذين الوقتين، لأنهما وقت سكون ودَعَة وتعبد واجتهاد، وما بينهما الغالب فيه الانقطاع إلى أمر المعاش». اهـ.

قال النووي[1]: «المراد من الذكر حضور القلب، فينبغي أن يكون هو مقصود الذاكر، فيحرص على تحصيله، ويتدبر ما يذكر، ويتعقل معناه، فالتدبر في الذكر مطلوب كما هو مطلوب في القراءة، لاشتراكهما في المعنى المقصود».

وقال ابن القيم[2]: «أفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان، وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده، لأن ذكر القلب يورث المعرفة، ويهيج المحبة، ويثير الحياء، ويبعث على المخافة، ويدعو إلى المراقبة، ويَزَع عن التقصير في الطاعات، والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئًا من هذه الآثار، وإن أثمر شيئًا منها فثمرة ضعيفة». اهـ.

وقال سبحانه: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾ [الأعراف:٥٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ»[3].

---

(١) «الأذكار» (ص ٩).

(٢) «الوابل الصيب» (ص ١١٥).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٧٩) وغيره، وحسنه الألباني.

قال النووي[1]: «اعلم أن مقصود الدعاء هو حضور القلب، والدلائل عليه أكثر من أن تُحصر، والعلم به أوضح من أن يذكر».

معاني بعض الأذكار

معنى (سبحان الله): أي أنزه الله تعالى عن كل نقص وعيب، ويتضمن ذلك إثبات كل كمال.

لأن نفي النقائص ليس بمدح ما لم يتضمن إثبات الكمال، فإذا قلنا: إن الله عز وجل منزه عن السِّنة والنوم، فإن هذا يتضمن كمال الحياة والقيومية، كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وإذا قلنا: إن الله عز وجل ليس كمثله شيء، فإن هذا يتضمن إثبات صفات كماله، كقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

قال ابن كثير[2]: «(سبحان الله)؛ أي: أنزه الله وأجله وأعظمه وأقدسه عن أن يكون له شريك أو نظير أو عديل أو نديد أو ولد أو والد أو صاحبة أو وزير أو مشير، تبارك وتقدس وتنزه وتعالى عن ذلك كله علوًّا كبيرًا، ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [الإسراء:٤٤]».

معنى (الحمد لله): أي الثناء كله والشكر كله لله تعالى.

فالحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، و(ال) فيه للاستغراق والاستقصاء؛ أي: جميع الحمد واجب ومُسْتَحَق لله تعالى.

فهو المحمود على صفاته وأسمائه، وهو المحمود على نعمه وأياديه، وهو

---

(١) «الأذكار» (ص ٣٥٦).

(٢) «تفسيره» (٤٩٦/٢).

المحمود على خلقه وأفعاله، وهو المحمود على أمره وحُكمه، وهو المحمود أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا.

وحمد العبد لربه عز وجل هو وصفه سبحانه والإخبار عنه بالمحامد، وهي صفات الكمال، ولا بد أن يكون هذا الحمد مقترنًا بالمحبة والرضا والتعظيم.

معنى (لا إله إلا الله): أي لا معبود بحق إلا الله.

فلا معبود يستحق أن تفرده الخلائق بكل أنواع العبادة، من خوف ورجاء، ومحبة وتعظيم، وإنابة وتوبة، وذل وخضوع، وتوكل واستعانة، واستغاثة وتوسل، وصلاة وصيام ودعاء، وذبح ونذر، وسائر عبادات القلب واللسان والجوارح، إلا الله عز وجل، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا، والأفعال الكاملة من كل وجه، التي لا تخرج عن مقتضى أسمائه وصفاته، والدائرة بين الرحمة والفضل، والحكمة والعدل.

معنى (الله أكبر): أي الله أكبر من كل شيء، في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، وفي أفعاله.

معنى (لا حول ولا قوة إلا بالله): أي لا تحول من حال إلى حال، في أي زمان أو مكان، ولا قوة على هذا التحول والحركة، إلا بالله تعالى، بقوته، وقدرته، وعلمه، ومشيئته.

قال ابن الأثير(١): «المَعْنِيّ بهذا اللفظ: إظهار الفاقة إلى الله تعالى، بطلب المعونة على ما يزاوله من الأمور». اهـ.

وقال شيخ الإسلام(٢): «هذه الكلمة كلمة استعانة، لا كلمة استرجاع، وكثير من الناس يقولها عند المصائب بمنزلة الاسترجاع، ويقولها جزعًا لا صبرًا».

---

(١) «جامع الأصول» (٣٩٨/٤).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٦٨٦/١٠).

فائدة جليلة

اعلم أنه لا يُعتدّ بالأذكار من تلاوة أو تسبيح أو غيرها، ولا تحسب، ولا يثاب عليها إلا بالتلفظ وتحريك اللسان بها، ولا تسمى أصلًا تلاوة ولا ذكرًا ولا قولًا ولا كلامًا دون ذلك.

قال النووي في «الأذكار»: «اعلم أن الأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها، واجبةً كانت أو مستحبةً لا يُحسبُ شيءٌ منها ولا يُعتدّ به حتى يتلفَّظَ به بحيثُ يُسمِع نفسه إذا كان صحيح السمع لا عارض له».

وقال شيخ الإسلام(١): «يجب أن يحرك لسانه بالذكر الواجب في الصلاة من القراءة ونحوها مع القدرة، ومن قال: إنها تصح بدونه، يستتاب».

أسباب إجابة الدعاء وأوقاتها

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

وأسباب إجابة الدعاء كثيرة، وقد تقدم بعضها.

ومنها: افتتاح الدعاء بالثناء على الله تعالى والصلاة على نبيه ﷺ، فعن فَضَالَةَ بن عُبَيْدٍ رضي الله عنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلًا يدعو في صلاته لم يُمَجِّدِ الله تعالى، ولم يصلِّ على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «عَجِلَ هَذَا». ثم دعاه فقال له أو لغيره:

«إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ»(٢).

---

(١) انظر «مختصر الفتاوى المصرية» (ص ٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٨١)، والنسائي (١٢٨٤)، باللفظ الثاني، وغيرهما، وصححه الألباني.

وفي لفظ: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللهَ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّ». ثُمَّ عَلَّمَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وسمع رسول الله ﷺ رجلًا يصلي، فمجَّد الله وحمِده، وصلى على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ:

«ادْعُ تُجَبْ، وَسَلْ تُعْطَ».

قال ابن القيم(١): «وإذا جمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب، وصادف وقتًا من أوقات الإجابة الستة، وهي:

الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة من ذلك اليوم، وآخر ساعة بعد العصر.

وصادف خشوعًا في القلب، وانكسارًا بين يدي الرب، وذلًا له وتضرعًا ورقة، واستقبل الداعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ، ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل على الله، وألح عليه في المسألة، وتملَّقه(٢)، ودعاه رغبة ورهبة، وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدم بين يدي دعائه صدقة، فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدًا.

ولا سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم»(٣). اهـ.

---

(١) «الجواب الكافي» (ص ١٢).

(٢) أي: تودد إليه وبالغ في التضرع والتذلل.

(٣) وسيأتي كثير منها، وأنصح في هذا الباب، وفي سائر أبواب الذكر والدعاء، بالرجوع إلى كتاب «الوابل الصيب»، و«المشوق إلى الذكر»، و«الأذكار المضاعفة».

وسيأتي ذكر الفضل العظيم للصلاة على النبي ﷺ، وأن الاشتغال بها عن دعاء العبد لنفسه سبب لكفايته في أمور دينه ودنياه[1].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ»[2].

ومنها: دعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب، فعن صفوان، وهو ابن عبد الله بن صفوان، وكانت تحته الدرداء، قال: قَدِمْتُ الشامَ، فأتيتُ أبا الدرداء في منزله، فلم أجده، ووجدت أم الدرداء، فقالت: أتريد الحجَّ العامَ، فقلت: نعمْ، قالت: فادعُ اللهَ لنا بخيرٍ فإن النبي ﷺ كان يقول:

«دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ[3]».

فليحرص على هذه الخصلة من يحب أن يؤمِّن المَلَكُ على دعائه، ويكون له مثل ما دعا لأخيه.

الاستعاذة من دعوة لا تستجاب

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»[4].

---

(١) (صفحة ٩٥، وما بعدها).

(٢) أخرجه ابن مَخْلَد في «المنتقى» (رقم ٤٠) وغيره. وهو في «الصحيحة» (٢٠٣٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٣٣) وغيره.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٢٢) وغيره.

وعن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان يدعو بهذه الدعوات:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ»، ثم يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعِ»[1].

ذكر الله
أعظم أسباب النجاة من العذاب

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ»[2].

قال الصنعاني[3]: «الحديث من أدلة فضل الذكر، وأنه من أعظم أسباب النجاة من مخاوف عذاب الآخرة، وهو أيضًا من المنجيات من عذاب الدنيا ومخاوفها».

وقال ابن القيم[4]: «ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه، حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له، والغافل خائف مع أمنه، حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف، ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا».

وقال[5]: «للذكر تأثير عجيب في انشراح الصدر ونعيم القلب، وللغفلة تأثير عجيب في ضيقه وحبسه وعذابه».

---

(١) أخرجه النسائي (٥٤٧٠) وغيره، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٩/٥). وهو في «صحيح الجامع» (٥٥٢٠).

(٣) «سبل السلام» (٢١٣/٤).

(٤) «الوابل الصيب» (ص ٧٧).

(٥) «زاد المعاد» (٢٥/٢).

الدعاء أكرم شيء على الله تعالى

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ»(١).

قال الصنعاني(٢): «[الدعاء] يتضمن حقيقة العبودية، والاعتراف بغنى الرب وافتقار العبد، وقدرته تعالى وعجز العبد، وإحاطته تعالى بكل شيء علمًا، فالدعاء يزيد العبد قربًا من ربه واعترافًا بحقه».

الدعاء ينفع المسلم وإن لم ينل مطلوبه ما لم يستعجل

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ بِدَعْوَةٍ، إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ». فقال رجل من القوم: إذًا نُكْثِرُ. قال: «اللهُ أَكْثَرُ»(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ:

«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو، لَيْسَ بِإِثْمٍ وَلَا بِقَطِيعَةِ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا».

قال: إِذًا نُكْثِرُ. قال: «اللهُ أَكْثَرُ»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧٠) وغيره، وحسنه الألباني.

(٢) «سبل السلام» (٤/٢١٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٧٣) وغيره. وهو في «صحيح الجامع» (٥٥١٣).

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب» (٧١٠) وغيره، وصححه الألباني.

«مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَنْصُبُ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ يَسْأَلُهُ مَسْأَلَةً، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهَا، إِمَّا عَجَّلَهَا لَهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا ذَخَرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، مَا لَمْ يَعْجَلْ».

قال: يا رسول الله، وما عَجَلَتُهُ؟ قال:

«يَقُولُ: دَعَوْتُ وَدَعَوْتُ وَلَا أُرَاهُ يُسْتَجَابُ لِي».

وفي لفظ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ».

قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال:

«يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ»(١).

قال ابن الجوزي(٢): «فإياك إياك أن تستطيل زمان البلاء، وتضجر من كثرة الدعاء، فإنك مبتلًى بالبلاء، متعبد بالصبر والدعاء، ولا تيأس من رَوح الله وإن طال البلاء».

وقال(٣): «فإياك أن تستطيل مدة الإجابة، وكن ناظرًا إلى أنه المالك، وإلى أنه الحكيم في التدبير، والعالم بالمصالح، وإلى أنه يريد اختبارك، ليبلو أسرارك، وإلى أنه يريد أن يرى تضرعك، وإلى أنه يريد أن يأجرك بصبرك، إلى غير ذلك، وإلى أنه يبتليك بالتأخير لتحارب وسوسة إبليس، وكل واحدة من هذه الأشياء تقوي الظن في فضله، وتوجب الشكر له، إذ أهّلك بالبلاء للالتفات إلى سؤاله، وفقر المضطر إلى اللجإ إليه غِنًى كله».

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب» (٧١١)، ومسلم (٢٧٣٥)، باللفظ الثاني، وغيرهما. وهو في «صحيحيهما» مختصرًا.

(٢) «صيد الخاطر» (ص ٤٣٩).

(٣) «صيد الخاطر» (ص ١٣٩).

قلت: هذا، وعافية الله خير للعبد وأوسع، فليجعل سؤالها دأبه وهِجِّيراه[1].

الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ، فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ، فَيَعْتَلِجَانِ[2] إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[3].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«الدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ»[4].

قال المناوي[5]: «(الدعاء ينفع مما نزل) من المصائب والمكاره؛ أي: يسهِّل تحمُّل ما نزل من البلاء، فيُصَبِّرُه أو يرضيه حتى أنه لا يكون متمنيًا خلافه. (ومما لم ينزل) منها، بأن يصرف ذلك عنه، أو يمده قبل النزول بتأييد إلهي من عنده حتى لا يعبأ به إذا نزل.

وخَصّ عباد الله بالذكر تحريضًا على الدعاء، وإشارة إلى أن الدعاء هو العبادة، فالزموا واجتهدوا وألحوا فيه وداوموا عليه، لأن به يُجاز الثواب، ويحصل ما هو الصواب، وكفى بك شرفًا أن تدعوه فيجيبك، ويختار لك ما هو الأصلح في العاجل والآجل». اهـ

وقال ابن القيم[6]: «الدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه ويمنع نزوله، ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن.

وله مع البلاء ثلاث مقامات:

---

(١) سيأتي فصل خاص في «أدعية العافية» (صفحة ١٠٧).

(٢) أي: يتصارعان. «نهاية».

(٣) أخرجه الحاكم (١/٤٩٢) وغيره. وهو في «صحيح الجامع» (٧٦١٦).

(٤) أخرجه الحاكم (١/٤٩٣) وغيره. وهو في «صحيح الجامع» (٣٤٠٣).

(٥) انظر «فيض القدير» (٣/٥٤٢).

(٦) الداء والدواء» (ص ١٢).

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه، وإن كان ضعيفًا.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه».

كل ما يصيب المسلم يكفر الله به من خطاياه

عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ[(١)] وَلَا وَصَبٍ[(٢)]، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[(٣)].

ماذا يفعل من يحب أن يستجيب الله له في الشدائد؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكُرَبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ»[(٤)].

قال المناوي[(٥)]: «(فليكثر الدعاء في الرخاء)؛ أي: في حال الرفاهية والأمن والعافية، لأن من شيمة المؤمن الشاكر الحازم أن يَريش السهم[(٦)] قبل الرمي، ويلتجئ

---

(١) أي: تعب، وزنه ومعناه.

(٢) أي: مرض، وزنه ومعناه.

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ١٠٣-فتح)، واللفظ له، ومسلم (٢٠٧٣)، وغيرهما.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٣٨٢) وغيره، وحسنه الألباني.

(٥) «فيض القدير» (٦/١٥٠).

(٦) أي: يضع عليه الريش.

إلى الله قبل الاضطرار، بخلاف الكافر الشقي والمؤمن الغبي، ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [الزمر:٨].

فتعين على من يريد النجاة من ورطات الشدائد والغموم أن لا يغفل بقلبه ولسانه عن التوجه إلى حضرة الحق ـ تقدس ـ بالحمد والابتهال إليه والثناء عليه، إذ المراد بالدعاء في الرخاء ـ كما قاله الإمام الحليمي(١) ـ دعاء الثناء والشكر والاعتراف بالمنن، وسؤال التوفيق والمعونة والتأييد، والاستغفار لعوارض التقصير، فإن العبد وإن جَهِد لم يوف ما عليه من حقوق الله بتمامها.

ومن غفل عن ذلك ولم يلاحظه في زمن صحته وفراغه وأمنه كان صَدَق عليه قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥]».

لا كاشف للسوء إلا الله تعالى

قال عز وجل: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢].

قال ابن سعدي: «أي: هل يجيب المضطر الذي أقلقته الكروب، وتعسر عليه المطلوب، واضطر للخلاص مما هو فيه، إلا الله وحده؟ ومن ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾؛ أي: البلاء والشر والنقمة، إلا الله وحده؟».

وقال شيخ الإسلام(٢): «إنه قد عُلِم أن الله يجيب دعوة المضطر إذا دعاه وإن كان كافرًا، فإذا كان المشركون يدعون الله بلا واسطة فيجيب دعاءهم، فالمسلمون الذين هم عباده أولى».

---

(١) انظر «المنهاج» (٥٣١/١).

(٢) «جامع المسائل» (٩٤/٢).

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام:١٧].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ (١) فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس:١٠٧].

وقال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٢) ﴾ [الإسراء:٥٦].

القرآن كله شفاء

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٥٧].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت:٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء:٨٢].

قال ابن القيم(٣): «و«من» هنا لبيان الجنس لا للتبعيض، فإن القرآن كله شفاء، كما قال في الآية المتقدمة، فهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب، فلم ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع في إزالة الداء من القرآن».

وقال(٤): «فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهَّل ولا يوفَّق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل

---

(١) من فقر أو مرض أو عسر أو غم أو هم أو نحوه.

(٢) أي: ولا يملكون تحويل الضر إلى غيركم.

(٣) «الداء والدواء» (ص ٦ - طبعة بكر أبو زيد).

(٤) «زاد المعاد» (٣٢٢/٤-٣٢٣).

التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان، وقَبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاءِ شروطه، لم يقاومه الداء أبدًا.

وكيف تقاوِم الأدواءُ كلامَ رب الأرض والسماء، الذي لو نزل على الجبال لصدّعها، أو على الأرض لقطّعها؟!! فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه لمن رزقه الله فهما في كتابه».

ثم قال: «فمن لم يشفه القرآن، فلا شفاه الله، ومن لم يكفه فلا كفاه الله[1]». اهـ.

وقال[2]: «فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور، إن لم يُتلقّ بالقبول، واعتقاد الشفاء به، وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان، لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها، بل لا يزيد المنافقين إلا رجسًا إلى رجسهم، ومرضًا إلى مرضهم».

وقال رحمه الله: «شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الحية».

قلت: ومع كون القرآن كله شفاء، لكن لا يقال برأي ولا تجربة: من قرأ سورة كذا شَفَتْه من كذا، ومن قرأ آية كذا شفته من كذا، ومن قرأ سورة كذا نجّته من كذا.

وأيضًا، لا يقال: سورة كذا للرزق مثلًا، وسورة كذا لعسر الولادة، ومن قرأ الآية كذا عشر مرات ذهب همه، والآية كذا عشرين مرة وجد ضالته. ونحو ذلك، مما يتداوله من لا علم عنده ولا مستند لديه ولا برهان.

فالقرآن كله شفاء، وكله جالب للخير، وكله دافع للضر، لكن لا تعيين لسورة أو آية، ولا أعداد في ذلك، إلا ما نص عليه الشرع، وثبت فيه الدليل الصحيح، كما سيأتي مثاله.

ooooo

---

(١) يقصد بهذا: من لم يعتبره شافيًا، ومن لم يعتقد فيه الكفاية، يدل على ذلك سياق الكلام قبله وبعده.

(٢) انظر «زاد المعاد» (٢٣/٤).

التحصن

باسم الله

باسم الله

باسم الله: هي الرقية العظمى، والعُوذة الكبرى، والدواء الأنفع، والحصن الأمنع، والدرع الأوقى، والسلاح الأقوى، فإن اسم الله تعالى لا يقوم له شيء من الأشياء، ولا يقاومه داء، ولا يستمر معه بلاء، ولا يضر معه وباء، وكل الخير فيه ومنه.

قال الله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨].

(تبارك اسم ربك)؛ أي: تكاثر خير اسمه عز وجل، ودام وثبت، ووسع كل شيء، فما من بركة ولا خير إلا منه، وحيث ذُكِر اسمه. و(تبارك اسم ربك): تعاظم وتعالى اسمه.

قال ابن القيم[١]: «فلا يذكر على قليل إلا كثره، ولا على خير إلا أنماه وبارك فيه، ولا على آفة إلا أذهبها، ولا على شيطان إلا رده خاسئًا داحرًا، وكمال الاسم من كمال مسماه، فإذا كان هذا شأن اسمه ـ الذي لا يضر معه شيء في الأرض ولا في السماء ـ فشأن المسمى أعلى وأجل». اهـ.

فحَصِّن نفسك في كل أوقاتك باسم الله، وارقِ نفسك وغيرك به، فعن أبي سعيد رضي الله عنه، أن جبريلَ أتى النبيَّ ﷺ فقال: يَا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟ فقال: «نَعَمْ». قال:

«بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ»[٢].

وعن عثمان بن أبي العاص الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه، أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وَجَعًا يجدُه في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ:

---

(١) «الصلاة» (ص ٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٨٦).

«ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِاسْمِ اللهِ، ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِـ[عِزَّةِ] اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»[١].

وقل: باسم الله، إذا أكلت، وبسم الله إذا شربت، وبسم الله إذا توضأت، وإذا اغتسلت، وإذا دخلت بيتك، وإذا خرجت منه، وإذا ذبحت، وإذا سافرت، وإذا ركبت مركبتك، من دابة أو سيارة أو غيرها، أو وقعت عنها، أو أصابك أو أصابها مكروه أو حادث ـ لا قدر الله ـ، وقل باسم الله إذا دخلت المسجد، وإذا خرجت منه، وإذا أتيت أهلك، وإذا مرضت، وإذا مسك ضر، أو جُرِحت، أو غير ذلك[٢].

فبذكر اسم الله تعالى يُنال كل مطلوب مرغوب، ويندفع كل مكروه مرهوب، ولا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم، كما جاء فيما يقال مكررًا في الصباح والمساء[٣]: عن أبي مَوْدُودٍ، عمن سمع أَبَانَ بن عثمان يقول: سمعت عثمان ـ يعنى ابن عفان ـ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ».

قال: فأصاب أَبَانَ بن عثمانَ الفَالِجُ[٤] فجعل الرجلُ الذي سمع منه الحديث ينظر إليه، فقال له: ما لك تنظر إلي؟! فوالله ما كذبتُ على عثمان، ولا كذب عثمانُ على النبي ﷺ، ولكنَّ اليومَ الذي أصابني فيه ما أصابني غضبتُ فنسيتُ أن أقولها[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٠٢)، والزيادة للسنن الأربعة عدا النسائي، وهي عنده في «الكبرى»، وإسنادها صحيح.

(٢) وكل هذا ثابت بالأدلة، وتنظر تفاصيله في كتب الأذكار، وستأتي أشياء منه أثناء الكتاب، إن شاء الله.

(٣) ولا مانع عند النوازل من قول الأذكار والأدعية المناسبة في جميع الأوقات، ودون التقيد بحدّ أو عدّ، فالأمر فيه سعة، بل الحاجة ملحة إلى التكرار والإكثار.

(٤) الفالِج: شلل يصيب أحد شِقي الجسم طولًا. «وسيط».

(٥) أخرجه أبو داود (٥٠٨٨) بهذا اللفظ، والترمذي (٣٣٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، كلاهما باللفظ الثاني، وعند الترمذي: «طَرَفُ فَالِجٍ». وأخرجه غيرهم. وصححه الألباني.

وفي لفظ: عن أبي الزِّناد، عن أَبَانَ بن عثمانَ قال: سمعت عثمان بن عفان يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَيَضُرُّهُ شَيْءٌ».

قال: وكان أَبَانُ قد أصابه طَرَفٌ من الفَالِجِ، فجعل الرجلُ ينظر إليه! فقال له أَبَانُ: ما تنظرُ إليَّ؟! أمَا إنّ الحديث كما قد حدثتُكَ، ولكني لم أقلْهُ يومئذٍ لِيُمْضِيَ اللهُ عَلَيَّ قَدَرَه.

وهذا أشهر وأعظم ذكر في هذا الباب، ويليه ـ كما سيأتي ـ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ».

معنى باسم الله

«اسم»: مفرد مضاف، إذًا فهو يعم كلَّ الأسماء الحسنى، فالمعنى: أذكر كل اسم لله تعالى، مصاحبًا له، متبركًا به، مستعينًا به، في جلب كل خير نافع، ودفع كل شر مؤذٍ.

فإذا تقيد بقول أو فعل أو حالٍ ما يكون المعنى بحسبه، فإذا قالها عند الأكل مثلًا يكون معناها: باسم الله آكل، يعني: آكل ذاكرًا اسم الله على طعامي، لتحصل فيه البركة، ويذهب أذاه وشره، وإبعادًا للشيطان من مشاركتي فيه. وإذا قيل عند المرض والوجع والألم يكون معناها: بسم الله أسترقي وأستشفي وأتطبب. ونحو هذا.

تفصيل

عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كنت في حِجْر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصَّحْفة، فقال لي:

«يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ:

كَانَ يَشْرَبُ فِي ثَلَاثَةِ أَنْفَاسٍ، إِذَا أَدْنَى الْإِنَاءَ إِلَى فِيهِ سَمَّى اللَّهَ، فَإِذَا أَخَّرَهُ حَمِدَ اللَّهَ، يَفْعَلُ بِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال:

«إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ»(٣).

وفي لفظ: «بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ».

والطعام والشراب في هذا سواء.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام قال:

«بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا». وإذا استيقظ من منامه قال:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»(٤).

وعن أبي زهير الأنماري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال:

«بِسْمِ اللهِ وَضَعْتُ جَنْبِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَأَخْسِئْ شَيْطَانِي، وَفُكَّ رِهَانِي، [وَثَقِّلْ مِيزَانِي]، وَاجْعَلْنِي فِي النَّدِيِّ الْأَعْلَى»(٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٤٠) وغيره، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٢٧٧)!

(٣) أخرجه أبو داود (٣٧٦٧)، والترمذي (١٨٥٨)، باللفظ الثاني، وغيرهما، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٢٤)، وفي مواضع أخرى، وأخرجه (٦٣٢٥)، وفي مواضع أخرى، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٢٧١١)، من حديث البراء رضي الله عنه، كلاهما بألفاظ متقاربة، وأخرجه غيرهما.

(٥) أخرجه أبو داود (٥٠٥٤)، والحاكم (١٩٨٢ و٢٠١٢)، والزيادة له، وصححه الألباني.

«إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ[١] إِزَارِهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدُ، فَإِذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ.

فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ»[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال:

«إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ» قال: «يُقَالُ [لَهُ] حِينَئِذٍ: [حَسْبُكَ، قَدْ] هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ (وفي رواية: فَيَلْقَى الشَّيْطَانُ شَيْطَانًا آخَرَ فَيَقُولُ لَهُ): كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ، وَكُفِيَ، وَوُقِيَ؟!»[٣].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول:

«إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»[٤].

وعن طلحة رضي الله عنه قال: لما كان يوم أُحُدٍ أصابني السهم، فقلت: حِسِّ[٥]. فقال:

---

(١) هي حاشية الإزار التي تلي جسده. «طِيبي».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٠١)، بهذا اللفظ، وحسنه الألباني. وأصله في «الصحيحين».

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٩٥) وغيره، والرواية الثانية والزيادة لابن حبان (٢٣٧٥ - موارد)، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه مسلم (٢٠١٨) وغيره.

(٥) كلمة تقال عند الألم، ويقال: إني لأجد حَسًّا من وَجَع. «لسان». وهي مِثل ما نقوله من أثر حرقة أو ضربة مؤلمة.

«لَوْ قُلْتَ: بِسْمِ اللهِ، لَطَارَتْ بِكَ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ»(١).

وعن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«إِذَا اسْتَجْنَحَ اللَّيْلُ، (أو: كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ)، فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ فَخَلُّوهُمْ، وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَأَطْفِئْ مِصْبَاحَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَأَوْكِ سِقَاءَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ تَعْرُضُ عَلَيْهِ شَيْئًا»(٢).

وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ»(٣).

الدعاء بالاسم الأعظم

واسم «الله» هو الاسم الأعظم، الذي إذا دُعي به الله تعالى أجاب، وإذا سئل به أعطى، فمتى عرف الداعي عظمة هذا الاسم ومعناه، وكيف أنه يشتمل على سائر الأسماء الحسنى، والصفات العليا، ومتى وقع ذلك من قلبه موقعه، ودعا به مستيقنًا، كان قد دعا حقًّا بالاسم الأعظم.

عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يقول:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، [الْوَاحِدُ]، الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

فقال: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»(٤).

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢١٤) وغيره، وهو في «الصحيحة» (٢١٧١).

(٢) متفق عليه.

(٣) أخرجه مسلم.

(٤) أخرجه أبو داود (١٤٩٣ و١٤٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٧٦١٩)، والزيادة له، وغيرهما، وصححه الألباني.

وعن مِحْجَنٍ بن الأَدْرَعِ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، فإذا هو برجل قد قضى صلاته وهو يتشهد، وهو يقول:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاللهِ (وفي رواية: يَا أَللهُ)، الْوَاحِدِ، الْأَحَدِ، الصَّمَدِ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. قال: فقال نبي الله ﷺ:

«قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ» ثَلَاثَ مِرَارٍ(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالسًا في الحَلْقَة، ورجل قائم يصلي، فلما ركع وسجد فتشهد، ثم قال في دعائه:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، [وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ]، الْمَنَّانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ [الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ].

فقال النبي ﷺ: «أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا اللهَ؟». قال: فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»(٢).

فانظر إلى هذا الداعي: كيف دعا باسم «الله»، وفصّل في ذكر عظمته سبحانه وصفاته، واختار منها تلك الجامعة لسائر الصفات، بما تكاد تعجز الألسن عن مثله! مما يدل على معرفته بقدر اسم «الله»، وحضوره في قلبه وعلى لسانه على أكمل وجه، لا جرم قال النبي ﷺ في حقه ما قال.

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٩٧٤)، واللفظ له، وأبو داود (٩٨٥)، والرواية الثانية له، وغيرهما، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، والنسائي (٥٢/٣)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، وأحمد (٢٤٥/٣، وفي مواضع أخرى)، واللفظ والزيادة الأولى له، وابن حبان (٢٣٨٢ - موارد)، والحاكم (٥٠٤/١) والزيادة الثانية له، وغيرهم، وصححه الألباني.

وكم من امرئ دعا باسم «الله»، ولم يقل له ﷺ مثل هذه الكلمة! فهذا عندي هو سر هذه المسألة، وبالله التوفيق.

السؤال بكل الأسماء الحسنى

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَابْنُ عَبْدِكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا(١)».

قال: فقيل: يا رسول الله، ألا نتعلمُها؟ فقال:

«بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»(٢).

قال ابن القيم(٣): «في [هذا الحديث] من المعارف الإلهية وأسرار العبودية ما لا يتسع له كتاب، فإنه يتضمن الاعتراف بعبوديته، وعبودية آبائه وأمهاته، وأن ناصيته بيده يُصَرِّفُها كيف يشاء، فلا يملك العبد دونه لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا؛ لأن مَنْ ناصيته بيد غيره فليس إليه شيء من أمره، بل هو عانٍ في قبضته، ذليلٌ تحت سلطان قهره.

وقوله: (ماضٍ فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك) متضمن لأصلين عظيمين عليهما مدار التوحيد.

---

(١) أو: «فَرَحًا» بالمهملة، لاختلاف نسخ «المسند» التي بين يدي.

(٢) أخرجه أحمد (٣٧٠٤ و٤٣٠٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٣٧٢ - موارد)، والحاكم (٥٠٩/١)، وغيرهم. وهو في «الصحيحة» (رقم ١٩٩).

(٣) «زاد المعاد» (٢٠٦/٤-٢٠٧).

أحدهما: إثبات القدر، وأن أحكام الرب تعالى نافذة في عبده ماضية فيه، لا انفكاك له عنها، ولا حيلة له في دفعها.

والثاني: أنه سبحانه عدل في هذه الأحكام غير ظالم لعبده، بل لا يخرج فيها عن موجَب العدل والإحسان، فإن الظلم سببه حاجة الظالم، أو جهله، أو سفهه، فيستحيل صدوره ممن هو بكل شيء عليم، ومَنْ هو غني عن كل شيء، وكل شيء فقير إليه، ومن هو أحكم الحاكمين، فلا تخرج ذرة من مقدوراته عن حكمته وحمده، كما لم تخرج عن قدرته ومشيئته، فحكمته نافذة حيث نفذت مشيئته وقدرته ولهذا قال نبي الله هود صلى الله على نبينا وعليه وسلم وقد خوفه قومُه بآلهتهم: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ * مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود:٥٤-٥٦].

أي: مع كونه سبحانه آخِذًا بنواصي خلقه وتصريفهم كما يشاء، فهو على صراط مستقيم، لا يتصرف فيهم إلا بالعدل والحكمة والإحسان والرحمة.

فقوله: (ماضٍ فيَّ حكمك) مطابق لقوله: ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾، وقوله: (عدل فيَّ قضاؤك) مطابق لقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

ثم توسل إلى ربه بأسمائه التي سمى بها نفسه، ما علم العباد منها وما لم يعلموا. ومنها: ما استأثره في علم الغيب عنده، فلم يُطْلِعْ عليه ملكًا مقربًا، ولا نبيًّا مرسلًا، وهذه الوسيلة أعظم الوسائل وأحبها إلى الله وأقربها تحصيلًا للمطلوب.

ثم سأله أن يجعل القرآن لقلبه كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان، وكذلك القرآن ربيع القلوب، وأن يجعله شفاء همه وغمه، فيكون له بمنزلة الدواء الذي يستأصل الداء، ويعيد البدن إلى صحته واعتداله، وأن يجعله لحزنه كالجلاء الذي

يجلو الطُبوع والأصدية وغيرها، فأحرى بهذا العلاج إذا صدق العليل في استعماله أن يزيل عنه داءه، ويعقبه شفاء تامًّا وصحة وعافية، والله الموفق».

وقال في «شفاء العليل»(١): «وقوله: (أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري) يجمع أصلين: الحياة، والنور، فإن الربيع هو المطر الذي يحيي الأرض فينبت الربيع، فيسأل الله بعبوديته وتوحيده وأسمائه وصفاته، أن يجعل كتابه الذي جعله روحًا للعالمين ونورًا، حياةً لقلبه بمنزلة الماء الذي يحيي به الأرض، ونورًا له بمنزلة الشمس التي تستنير بها الأرض، والحياة والنور جماع الخير كله».

وذلك كما قال شيخ الإسلام(٢): «الربيع: هو المطر المنبت للربيع، فسأل الله أن يجعله ماءً يحيي به قلبه، كما يحيي الأرض بالربيع، ونورًا لصدره. والحياة والنور جماع الكمال، كما قال: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام:١٢٢]».

وقال الشوكاني(٣): «أي: يجعلَ قلبه مرتاحًا إلى القرآن، مائلًا إليه، راغبًا في تلاوته وتدبره».

قلت: فهذا الحديث يدل على أن الإقبال على القرآن الكريم، وسماعه وتلاوته بتفهم وتدبر أعظم أسباب ذهاب الهم وجلاء الحزن.

السؤال باسمي الحي والقيوم

تقدم السؤال باسمي الحي والقيوم في ضمن حديث السؤال بالاسم الأعظم.

وعن أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لفاطمةَ:

---

(١) (ص ٢٧٧).

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» (١٨/٣١٠).

(٣) «تحفة الذاكرين» (ص ١٩٧).

«مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ؟! أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ [أَبَدًا]»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل به هم أو غم قال:

«يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»(٢).

قال ابن القيم(٣): «فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال والغنى التام والقدرة التامة، فكأن المستغيث بهما مستغيث بكل اسم من أسماء الرب تعالى وبكل صفة من صفاته، فما أولى الاستغاثة بهذين الاسمين أن يكونا في مظنة تفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، وإنالة الطلبات».

وقال(٤): «وفي تأثير قوله: «يا حي، يا قيوم، برحمتك أستغيث» في دفع هذا الداء مناسبة بديعة، فإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال، مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال، والحياة التامة تضاد جميع الأسقام والآلام، ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن ولا شيء من الآفات، ونقصان الحياة تضر بالأفعال، وتنافي القيومية، فكمال القيومية لكمال الحياة، فالحي المطلق التام الحياة لا تفوته صفة كمال

---

(١) أخرجه النسائي (رقم ٥٧٠)، وابن السني (رقم ٤٨)، والزيادة له، كلاهما في «عمل اليوم والليلة»، وغيرُهما. وهو في «الصحيحة» (٢٢٧).

(٢) أخرجه الحاكم (٥٠٩/١)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (رقم ٤٦٦٧). وأخرجه الترمذي (٣٥٢٤) وابن السني (٣٣٧)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا حَزَبَه (وعند الترمذي : كَرَبَه) أمر قال: « يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ». وحسنه الألباني في «تخريج الكلم» (ص ٧٢).

(٣) «بدائع الفوائد» (١٨٤/٢).

(٤) انظر «زاد المعاد» (٢٠٤/٤-٢٠٥).

البتة، والقيوم لا يتعذر عليه فعل ممكن البتة، فالتوسل بصفة الحياة والقيومية له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة ويضر بالأفعال».

وقال[1]: «لاسم «الحي القيوم» تأثير خاص في إجابة الدعوات وكشف الكُرُبات».

الدعاء باسم السلام

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور:٢٧].

وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗ ﴾ [النور:٦١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ:

«يَا بُنَيَّ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ، يَكُونُ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[3].

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَضَعَهُ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ، فَأَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[4].

---

(١) «زاد المعاد» (٤/٢٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٩٨) وغيره، وهو في «صحيح الترغيب» (١٦٠٨).

(٣) أخرجه مسلم (٥٤) وغيره.

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٩) وغيره، وحسنه الألباني.

والأحاديث في الباب كثيرة.

فإذا قلت لأخيك المسلم أو لأهل بيتك: السلام عليكم: فمعناه اسم الله «السلام» عليكم بالحفظ والحماية، فيتضمن: الدعاء له بالحفظ وطلب السلامة من كل شر وسوء ومكروه، وهذا يشمل كل أنواع الشرور، من مرض ووباء وغيره، ويشمل السلامة في الدنيا والآخرة.

فما أجدر المسلم إذا سلم على أخيه وأحراه بمعرفة معنى ما يقول وتدبره! ولا يجعل قولَه مجردَ لفظ يقوله بعَذَبة لسانه لا أكثر!

وعن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي ﷺ:

«لَا تَقُولُوا السَّلاَمُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلاَمُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ (أو: بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ)، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو»(١).

وعن ثَوْبَانَ رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا، وقال:

«اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ [يَا] ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»(٢).

وهذا أهم حديث في الباب وأنسبه في موضوعنا، فأنت تثني على الله تعالى بذكر اسمه «السلام»، ثم تطلب منه تعالى السلامة بقولك «ومنك السلام».

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم (٥٩١) وغيره، والزيادة عند النسائي (١٣٣٧).

والمعنى: اللهـم أنت الذي سلمت من كل نقص وعيب، ومن كل ما لا يليق بجلالك وكمالك، و(منك السلام)؛ أي: فسلمني من كل نقص وعيب وذنب وشر وآفة ومرض وغيره، (تباركت)؛ تكاثر خيرك وتعاظمت وتعاليت، (يا ذا الجلال والإكرام)؛ يا ذا العظمة والكبرياء، وأيضًا الإكرام لأوليائه والجود عليهم، والإكرام والتعظيم منهم له عز وجل.

سؤال السلامة عند رؤية الهلال

عن طَلْحَةَ بن عُبَيْدِ الله رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال:

«اللَّهُمَّ أَهْلِلْهُ عَلَيْنَا بِالْيُمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ»(١).

وفي لفظ: «اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ».

والسلامة هنا: النجاة من كل ما يَضُر ويؤذي، من الشرور والأسقام والأوبئة، وسائر الآفات، وهي بنحو معنى الأمن، وهما (أعني: الأمن والسلامة) العافية الدنيوية، وقابلهما ﷺ بالإيمان والإسلام، وهما العافية الدينية.

الدعاء باسم ذي الجلال والإكرام

عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال:

«أَلِظُّوا بِيَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»(٢).

قال ابن الأثير في «النهاية»: «(ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام)؛ أي: الزموه، واثبتوا عليه، وأكثروا من قوله والتلفظ به في دعائكم. يقال: أَلَظَّ بالشيء يُلِظُّ إلظاظًا، إذا لزمه وثابر عليه».

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٥١)، والحاكم (٢٨٥/٤)، باللفظ الثاني، وغيرهما، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٢٥) وغيره، وصححه الألباني.

قلت: هذا الأمر بالدعاء بهذا الاسم العظيم، وبهذا اللفظ الدال على طلب الالتزام والإلحاح به، يدل على أن له شأنًا عظيمًا، وقدرًا كبيرًا، وعلى أن الدعاء به مستجاب.

وتقدم قبل قليل معناه، والذكر به، والتعرض لطلب الخيرات والبركات بذلك.

الدعاء باسم الشافي

عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ كان إذا أَتَى مَرِيضًا أو أُتِيَ به قال: «أَذْهِبِ البَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»(١).

وعنها رضي الله عنها قالت: كنت أُعَوِّذُ رسول الله ﷺ بدعاء كان جبريل يعوِّذُهُ به إذا مرض:

«أَذْهِبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، تُنْزِلُ الشِّفَاءَ، لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، اشْفِ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا». فلما كان في مرضه الذي توفي فيه جعلتُ أدعو بهذا الدعاء، فقال رسول الله ﷺ:

«ارْفَعِي يَدَكِ، فَإِنَّهَا كَانَتْ تَنْفَعُنِي فِي الْمُدَّةِ»(٢).

الدعاء للمريض باسم الله العظيم وغيره

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال:

«مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مِرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه ابن حبان (١٤٢٣- موارد) وغيره، وصححه الألباني. وقوله ﷺ: «فَإِنَّهَا كَانَتْ تَنْفَعُنِي فِي الْمُدَّةِ»؛ يعني: إنها كانت تنفعني في مدة الحياة واستمرارها، وأما مع حضور الأجل، واقتراب قبض الروح، وقد اخترت لقاء الله تعالى، والرفيق الأعلى، فلا.

الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ»[1].

وعن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «إِذَا جَاءَ الرَّجُلُ يَعُودُ مَرِيضًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا[2]، أَوْ يَمْشِي لَكَ إِلَى صَلَاةٍ»[3].

○○○○○

(١) أخرجه أبو داود (٣١٠٦) وغيره، وصححه الألباني.

(٢) أي: يُكْثِر في عدوك الجراح والقتل فيوهنهم.

(٣) أخرجه أبو داود (٣١٠٧) وغيره، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٣٠٤).

التحصن

بكلمات الله

أعوذ بكلمات الله التامات

عن سُهَيْلِ بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

«مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ[1] مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ حُمَةٌ[2] تِلْكَ اللَّيْلَةَ».

قال سُهَيْلٌ: فكان أهلُنا تَعَلَّموها، فكانوا يقولونها كل ليلة، فلُدِغَتْ جاريةٌ منهم فلم تجد لها وجَعًا[3].

وفي لفظ: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما لَقِيتُ من عقربٍ لدغتني البارحةَ! قال:

«أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ».

قال المناوي[4]: «لأن الأدوية الإلهية تمنع من الداء بعد حصوله، وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يضر، والدواء الطبيعي إنما ينجع بعد حصول الداء». اهـ.

ووردت هذه الاستعاذة العظيمة فيما يقوله من نزل منزلًا، فعن خَوْلَةَ بنت حَكِيمٍ السُّلَمِيَّة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»[5].

قال القرطبي[6]: «هذا خبر صحيح، وقول صادق، علِمنا صدقه دليلًا

---

(١) التامات: أي الكاملات. كما سيأتي بيانه بعد قليل.

(٢) الحُمَة: السم.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٩٦٦)، بهذا اللفظ، ومسلم (٣٧٠٨)، باللفظ الثاني، وأبو داود (٣٨٩٩)، وغيرهم.

(٤) «فيض القدير» (٢/١٦٣).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٠٨) وغيره.

(٦) «المفهم» (٧/٣٦-٣٧).

وتجربة، فإني منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه، فلم يضرني شيء إلى أن تركته، فلدغتني عقرب بالمهدية ليلًا، فتفكرت في نفسي، فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات، فقلت لنفسي، ذامًّا لها وموبخًا، ما قاله ﷺ للرجل الملدوغ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ»».

وقال الأُبّيّ[١]: «ليس ذلك خاصًّا بمنازل السفر، بل عامٌّ في كل موضع جلس فيه، أو نام، وكذلك لو قالها عند خروجه للسفر، أو عند نزوله للقتال الجائز، فإن ذلك كله من الباب».

قال: «وشرط نفع ذلك النية والحضور، فلو قاله أحد واتفق أن ضره شيء حُمِل على أنه لم يقله بنية، ومعنى النية: أن يستحضر أن النبي ﷺ أرشده الى التحصن به، وأنه الصادق المصدوق».

وقال المناوي[٢]: «والظاهر حصول ذلك لكل داع بقلب حاضر وتوجه تام، فلا يختص بمجاب الدعوة». اهـ.

قلت: قوله ﷺ: (أعوذ بكلمات الله)؛ أي: أحتمي بها، وهي كلماته عز وجل الكونية، التي يكوِّن به الكائنات، ويخلق بها المخلوقات، ويأمر بها الأوامر النافذات، التي منها ما يأمر به جلبًا للخير للمستعيذ، أو دفعًا للسوءِ عنه، أو عكسه من إيقاع العقوبات بالمستعاذ منه، فالمستعيذ بكلمات الله عز وجل قد احتمى واعتصم من كل شر كائن أو متوقع بكلام الله تعالى النافذ، الذي لا يجاوزه أحد، ولا يستطيع دفعه أو رده، وهي المقصودة بالأحاديث التالية:

عن حَطِيمٍ، عن خالد بن الوليد قال: كنت أَفْزَع بالليل، فأتيت النبي ﷺ، فقلت:

---

(١) «إكمال الإكمال» (١١١/٩-١١٢).

(٢) «فيض القدير» (٣٠٦/٥).

إني أَفْزَع بالليل فآخذ سيفي، فلا ألقى شيئًا إلا ضربته بسيفي، فقال رسول الله ﷺ:

«أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيَ الرُّوحُ الْأَمِينُ؟» فقلت: بلى. فقال:

«قُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ، الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقٌ يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ». فقالها، فذهبت عنه[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفَزَع كلمات:

«أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ غَضَبِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَحْضُرُونِ»[2].

وعن أبي التَّيَّاحِ قال: سأل رجل عبد الرحمن بن خَنْبَشٍ: كيف صنع رسول الله ﷺ حين كادته الشياطين؟ قال: جاءت الشياطين إلى رسول الله ﷺ من الأودية، وتَحَدَّرَتْ عليه من الجبال، وفيهم شيطان معه شُعْلَةٌ من نار، يريد أن يُحْرِقَ بها رسول الله ﷺ، قال: فَرُعِبَ - قال جعفرٌ: أَحْسَبه قال: جعل يَتَأَخَّرُ - قال: وجاء جبريل، فقال: يَا مُحَمَّدُ قُلْ. قال: «مَا أَقُولُ؟» قال: قُلْ:

أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ، الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ.

فَطَفِئَتْ نَارُ الشَّيَاطِينِ، وَهَزَمَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ[3].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٤١٥). وهو في «الصحيحة» (٢٧٣٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٩٣) وغيره، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه أحمد (١٥٤٦١ - طبعة الرسالة) وغيره. وهو في «الصحيحة» (٢٩٩٥).

وهي أيضًا كلماته تعالى الشرعية الدينية: القرآن الكريم، فهي كذلك حافظة للعبد وواقية[1].

فكلمات الله تعالى بنوعيها حافظة للمستعيذ بها وواقية له من كل سوء وشر: واقية له قبل وقوعه، ورافعة له ودافعة بعد وقوعه، فهي تمنع وقوع الوباء وغيره، وترفعه لو وقع.

وقوله ﷺ: (التامات)؛ أي: الكاملات، التي لا نقص فيها ولا عيب، والتي من تعوذ بها اندفع عنه كل شر وضر، ولم يصبه سوء قط، وحصل له كل خير ونفع وشفاء، وكفته من كل شيء.

فهي تامات في ذاتها وكاملات، وهي كذلك في تمام حفظها للمستعيذ بها والمحتمي، فهي كافيات، واقيات، منجيات، طيبات.

قال ابن القيم[2]: «ومن جرب هذه الدعوات والعُوَذ عرف مقدار منفعتها، وشدة الحاجة إليها، وهي تمنع وصول أثر العائن[3]، وتدفعه بعد وصوله، بحسب قوة إيمان قائلها، وقوة نفسه، واستعداده، وقوة توكله، وثبات قلبه، فإنها سلاح والسلاح بضاربه».

شأن كلمات الله

وإذا أردت أن تعرف قَدْر استعاذتك بكلمات الله تبارك وتعالى، وقَدْر تحصنك بها، انظر ماذا يقول سبحانه وتعالى فيها:

قال سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩].

---

(١) كما سيأتي مثاله في الباب التالي، عند ذكر سورة الفاتحة والمعوذات وآية الكرسي، وغيرها.

(٢) «زاد المعاد» (١٥٦/٤).

(٣) أي: الحاسد الذي يصيب بعينه.

وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان:٢٧-٢٨].

قال ابن كثير: «يقول تعالى مخبرًا عن عظمته وكبريائه وجلاله، وأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد، ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها، كما قال سيد البشر وخاتم الرسل: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»(١). فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾؛ أي: ولو أن جميع أشجار الأرض جُعلت أقلامًا، وجُعل البحر مدادًا، ومَدَّه سبعةُ أبحر معه، فكُتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله، لتكسرت الأقلام، ونفد ماء البحر، ولو جاء أمثالها مددًا.

وإنما ذُكِرت «السبعة» على وجه المبالغة، ولم يُرد الحصر، ولا أن ثَمّ سبعة أبحر موجودة تحيط بالعالم، كما يقوله من تلقّاه من كلام الإسرائيليين التي لا تصدَّق ولا تكذَّب، بل كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾. فليس المراد بقوله: ﴿ بِمِثْلِهِۦ ﴾ آخَرُ فقط، بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله، ثم هَلُمّ جرًّا، لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته.

وقال الحسن البصري: لو جُعل شجر الأرض أقلامًا، وجُعل البحر مدادًا، وقال الله: إن من أمري كذا، ومن أمري كذا، لنفد ما في البحور، وتكسرت الأقلام.

---

(١) بعض حديث، أخرجه مسلم (٤٨٦) وغيره.

وقال قتادة: قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد. فقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ ﴾؛ أي: لو كان شجر الأرض أقلامًا، ومع البحر سبعة أبحر، ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه.

وقال الربيع بن أنس: إن مَثَل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها، وقد أنزل الله ذلك: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ ﴾. الآية. يقول: لو كان البحر مدادًا لكلمات الله والأشجار كلها أقلامًا، لانكسرت الأقلام، وفَنِي ماء البحر، وبقيت كلمات الله قائمة لا يُفنيها شيء، لأن أحدًا لا يستطيع أن يَقْدُر قَدْره، ولا يثني عليه كما ينبغي، حتى يكون هو الذي يثني على نفسه، إن ربنا كما يقول، وفوق ما نقول.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾؛ أي: عزيز قد عز كل شيء وقهره وغلبه، فلا مانع لما أراد ولا مخالف، ولا مُعَقِّب لحكمه، ﴿ حَكِيمٌ ﴾، في خلقه وأمره، وأقواله وأفعاله، وشرعه وجميع شؤونه». اهـ.

○○○○○

التحصن

بالقرآن الكريم

سورة الفاتحة

اعلم وأيقن أن القرآن العظيم كله وقاية وحصن وعُوذة، وكله شفاء، كما تقدم في تمهيد الكتاب.

وأعظم سوره هي أم القرآن، الفاتحة، وهي أعظم رقية فيه، فعن أبي سعيد بن المُعَلَّى رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال:

«أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟» ثم قال لي:

«لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ».

ثم أخذ بيدِي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟» قال:

«﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: نَزَلنا منزلًا، فأتتنا امرأة فقالت: إن سَيِّدَ الحَيِّ سَلِيمٌ(٢)، لُدِغَ، فهل فيكم من راقٍ؟ فقام معها رجل منا، ما كنا نظنه يحسن رقية، فرقاه بفاتحة الكتاب فبرأ، فأعطَوْه غنمًا، وسقَوْنا لبنًا، فقلنا: أكنت تحسن رقية؟ فقال: ما رقيته إلا بفاتحة الكتاب. قال: فقلت: لا تحركوها حتى نأتي النبي ﷺ، فأتينا النبي ﷺ فذكرنا ذلك له، فقال:

«مَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٧٤، وفي مواضع أُخَر) وغيره.

(٢) السليم: هو اللديغ، والمجروح، والمشرف على هلكة، سمِّي بذلك تفاؤلًا، من السلامة.

(٣) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا من فوقه، فرفع رأسه فقال:

«هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ» فقال: «هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ»(١).

سورة البقرة

عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَؤُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَؤُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ». قال معاوية: بلغني أن البطلة: السحرة(٢).

والبركة تشمل حصول المنافع والخيرات، وتستلزم اندفاع الشرور والبليات.

آية الكرسي

وهي أعظم آية في كتاب الله عز وجل، فعن أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قال: قلت: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]. قال: فضرب في صدري وقال:

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٦) وغيره.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤) وغيره.

«وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»[١].

ومن قرأها عند النوم لا يزال عليه من الله حافظ حتى يصبح، وكذلك الأمر لو قرأها في الصباح، فإنه يحفظ إلى المساء.

وهي تُقرأ في الصباح والمساء، وعند النوم، ودبر الصلوات المكتوبات، وتقرأ في كل الأوقات لو احتيج إلى ذلك، كحال النوازل وغيرها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وَكَّلَنِي رسولُ الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: إني محتاج وعليَّ عيالٌ وبي حاجة شديدة، فخليت عنه، فلما أصبحت قال النبي ﷺ:

«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قلت: يا رسول الله، شكى حاجة شديدة وعيالًا، فرحمتُه فخليتُ سبيله، فقال: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ».

فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ: إنه سيعود، فرصدتُه، فجاء يحثو من الطعام، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ. قال: دعني فإني محتاج وعليَّ عيالٌ ولا أعود. فرحِمتُه فخليتُ سبيله، فأصبحت، فقال رسول الله ﷺ:

«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قلت: يا رسول الله، شكا حاجة وعيالًا، فرحِمتُه فخليتُ سبيله، فقال: «أَمَا إِنَّهُ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ».

فرصدتُه الثالثة، فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، هذا آخر ثلاث مرات تزعم أنك لا تعود ثم تعود. قال: دعني أُعَلِمْكَ كلمات ينفعُك الله بها. قلت: ما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي؛ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حتى تختم الآية، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فأصبحت،

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٠) وغيره.

فقال لي رسول الله:

«مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟» قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليتُ سبيله، قال: «مَا هِيَ؟». قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختمها؛ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾. وقال: لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك الشيطان حتى تصبح، ـ وكانوا أحرص شيء على الخير ـ، فقال النبي ﷺ:

«أَمَا إِنَّهُ كَذُوبٌ، وَقَدْ صَدَقَكَ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» فقلت: لا. قال: «ذَلِكَ الشَّيْطَانُ»[1].

وعن محمد بن أُبَيِّ بن كعبٍ، عن أبيه، أنه كان له جُرْنٌ[2] من تَمْرٍ، فكان يَنْقُصُ، فحرسه ذاتَ ليلةٍ، فإذا هو بدابَّةٍ شِبْهِ الغلامِ المحتلِمِ، فسلَّم عليه، فرد عليه السلام، فقال: ما أنت؟ جِنِّيٌّ أم إنسيٌّ؟ قال: لا بل جِنِّيٌّ. قال: فناولني يدَك. فناوله يدَه، فإذا يدُه يَدُ كلبٍ، وشَعْرُه شَعْرُ كلبٍ. قال: هكذا خَلْقُ الجنِّ؟ قال: قد عَلِمَتِ الجنُّ أنّ ما فيهم رجلٌ أشدُّ مني. قال: فما جاء بك؟ قال: بلغنا أنك تحبُّ الصدقةَ، فجئنا نُصيبُ من طعامك. قال: فما يُنْجِينا منكم؟ قال: هذه الآية التي في سورة البقرة: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، من قالها حين يمسي أُجِيرَ منا حتى يصبح، ومن قالها حين يصبح أُجِيرَ منا حتى يمسي.

فلما أصبح أتى رسولَ الله ﷺ فذَكَر ذلك له، فقال: «صَدَقَ الْخَبِيثُ»[3].

---

(١) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٧٢٩) وغيره. وأخرجه البخاري معلقًا. وهو في «صحيح الترغيب» (٦٠٤).

(٢) الجُرْن: الموضع الذي يداس فيه البُر ونحوه، وتجفف فيه الثمار. «وسيط».

(٣) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٩٦١)، والطبراني في «الكبير» (٥٤٢/٢٢٧/١)، واللفظ له، وغيرهما. وهو في «صحيح الترغيب» (٦٦٢/٤١٨/١).

أواخر سورة البقرة

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ قَرَأَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ»(١).

قال الشوكاني(٢): «كفتاه بالتخفيف؛ أي: أغنتاه عن قيام تلك الليلة بالقرآن، أو أجزأتاه عن قراءته القرآن، أو أجزأتاه فيما يتعلق بالاعتقاد، لما اشتملت عليه من الإيمان والأعمال إجمالًا، أو وَقَتَاه من كل سوء ومكروه، أو كفتاه شر الشياطين، أو شر الثقلين، أو شر الآفات كلها، أو كفتاه بما حصل له من الثواب عن ثواب غيرها، ولا مانع من إرادة هذه الأمور جميعها، ويؤيد ذلك ما تقرر في علم المعاني والبيان من أن حذف المتعلق مشعر بالتعميم، فكأنه قال: كفتاه من كل شر أو من كل ما يخاف. وفضل الله واسع».

وتقدم قبل قليل قول الملَك فيها وفي الفاتحة: «لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ»، فانظر إلى الدعوات التي فيها، وتأمل كيف تشتمل طلب حصول خيرات الدنيا والآخرة، ودفع شرورهما، واعلم أيضًا، أنها دعوات مستجابات.

المعوذات

ومن اسمها تعلم منافعها، وأنها تعيذ صاحبها وتحميه من كل سوء، وتحفظه من كل شر، وهي تُقرأ عند النوم، وفي الصباح والمساء، ودبر الصلوات المكتوبات، وفي كل الأوقات، وهذا كله قد ثبت في الأحاديث، فمن ذلك:

عن معاذ بن عبد الله بن خُبَيْبٍ، عن أبيه، أنه قال: خرجنا في ليلةِ مَطَرٍ وظُلْمَةٍ شديدةٍ نطلب رسول الله ﷺ ليُصَلِّيَ لنا، فأدركناه فقال: «أَصَلَّيْتُمْ؟» فلم أقل شيئًا. فقال: «قُلْ». فلم أقل شيئًا. ثم قال: «قُلْ». فلم أقل شيئًا. ثم قال: «قُلْ».

---

(١) متفق عليه.

(٢) «تحفة الذاكرين» (ص ١٢٢-١٢٣).

فقلتُ: يا رسول الله، ما أقول؟ قال:

«قُلْ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»[1].

قال المباركفوري[2]: «(تكفيك)؛ أي: السور الثلاث. (من كل شيء)، قال الطِّيبي: أي تدفع عنك كل سوء».

وقال الشوكاني[3]: «وفي الحديث دليل على أن تلاوة هذه السور عند المساء وعند الصباح تكفي التالي من كل شيء يخشى منه، كائنًا ما كان».

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: لقِيت رسول الله ﷺ فقال لي:

«يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، أَلَا أُعَلِّمُكَ سُوَرًا مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهُنَّ، لَا يَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ لَيْلَةٌ إِلَّا قَرَأْتَهُنَّ فِيهَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾»[4].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال:

«﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»[5].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال:

كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجانِّ وعَيْنِ الإنسان، حتى نزلت المُعَوِّذتان،

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٨٢) وغيره، وحسنه الألباني.

(٢) «تحفة الأحوذي» (١٠/٢٨).

(٣) «تحفة الذاكرين» (ص ٦٠).

(٤) بعض حديث، أخرجه أحمد (١٧٤٥٢) وغيره. وهو في «الصحيحة» (٢٨٦١).

(٥) أخرجه مسلم (٨١١) وغيره.

فلما نَزَلتا أخذ بهما وترك ما سواهما[1].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: كنت أقود برسول الله ﷺ ناقته في السفر، فقال لي:

«يَا عُقْبَةُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ قُرِئَتَا؟».

فعلَّمني ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾. قال: فلم يَرَني سُررت بهما جدًّا، فلما نزل لصلاة الصبح صلى بهما صلاة الصبح للناس، فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلاة التفت إلي، فقال:

«يَا عُقْبَةُ، كَيْفَ رَأَيْتَ؟!»[2].

وفي لفظ: «أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ، لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ؟! ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾».

قال ابن القيم[3]: «حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النَفَس والطعام والشراب واللباس».

○○○○○

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٥٨) وغيره، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٢) وغيره، وصححه الألباني. واللفظ الثاني لمسلم (٨١٤).

(٣) «بدائع الفوائد» (٢/١٩٩).

أدعية أخر

فِي الصباح والمساء

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، أنه قال لأبيه: يا أبتِ، إني أسمعك تدعو كلَّ غداةٍ:

«اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»، تُعيدُها ثلاثًا حين تصبحُ، وثلاثًا حين تمسي! وتقول:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»، تُعيدُها حين تصبحُ ثلاثًا، وثلاثًا حين تمسي!

قال: نعم يا بُنَيَّ، إني سمعتُ النبيَّ ﷺ يدعو بهنَّ، فأُحبُّ أن أَسْتَنَّ بسنته.

قال: وقال النبي ﷺ:

«دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، [وَ]أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»(1).

وعن عبد الله [بن مسعود] رضي الله عنه قال: كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال:

«أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ». (قال: أُراهُ قال فيهن): «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، [وَالْهَرَمِ]، وَسُوءِ الْكِبَرِ، [وَفِتْنَةِ الدُّنْيَا]، [وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ]، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ».

وإذا أصبح قال ذلك أيضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ»(2).

---

(1) أخرجه أبو داود (٥٠٩٠)، والزيادة له، وأحمد (٢٠٤٣٠ - طبعة الرسالة)، واللفظ له، وغيرهما، وحسنه الألباني.

(2) أخرجه مسلم (٢٧٢٣) وغيره. والزيادة الثالثة عند ابن حبان (٢٩١/٢/ رقم ٩٥٩ - التعليقات الحسان). وأما قول الراوي: (أراه قال فيهن)، فعند مسلم رواية أخرى على الجزم بقولها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أصبح قال: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ».

وإذا أمسى قال: «اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»[١].

قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا»، قال الطِّيبي[٢]: «أي أصبحنا متلبسين بنعمتك، أو بحياطتك وكلاءتك، أو بذكر اسمك[٣]».

وقال المباركفوري[٤]: «أي: أصبحنا متلبسين بحفظك، أو مغمورين بنعمتك، أو مشتغلين بذكرك، أو مستعينين باسمك، أو مشمولين بتوفيقك، أو متحركين بحولك وقوتك، ومتقلبين بإرادتك وقدرتك».

قلت: ولا مانع من حمل الكلمة على كل هذه المعاني.

وعن جُبَيْرِ بن أبي سليمان بن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ قال: سمعت ابن عمر يقول: لم يَكُنْ رسولُ الله ﷺ يَدَعُ هؤلاء الدعواتِ حين يمسي وحين يصبح: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٩٩)، بهذا اللفظ، وأبو داود (٥٠٦٨)، والترمذي (٣٣٩١)، وغيرهم. وصححه الألباني. ولفظ الترمذي: كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه يقول: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ».

والمحفوظ: «وَإِلَيْكَ النُّشُورُ» في الصباح، و«وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» في المساء.

(٢) «شرح المشكاة» (١٨٧٧/٦).

(٣) وعلى هذا المعنى الأخير يُلحق هذا الذكر بفصل «التحصن باسم الله»، الذي بدأنا به الأدعية.

(٤) «المرعاة» (١٢٧/٨).

أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي». قال أبو داود: قال وكيعٌ: يعني الخَسْفَ[١].

قال الصنعاني[٢]: «العافية في الدين: السلامة من المعاصي، والابتداع، وترك ما يجب، والتساهل في الطاعات. وفي الدنيا: السلامة من شرورها ومصائبها. وفي الأهل: السلامة من سوء العِشرة، والأمراض والأسقام، وشغلهم بطلب التوسع في الحطام. وفي المال: السلامة من الآفات التي تحدث فيه». اهـ.

وقوله ﷺ: (اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي)؛ أي: استر عورتي وعورات أهلي ومن يخصني، واستر عيوبنا، وامح ذنوبنا، كل هذا من العورات. (وَآمِنْ رَوْعَاتِي)، الروعات: الفَزَعات، مفردها: رَوْعة. أي : وآمن فَزَعاتي؛ أي: ارفع عني مخاوفي كلها.

قال الصنعاني: «وستر العورات عام لعورة البدن والدين والأهل والدنيا والآخرة، وتأمين الروعات كذلك، والروعات: جمع روعة، وهي الفزع». اهـ.

قلت: فإذا استجاب الله دعاءك، فعافاك في كل ما ذُكِر، وحفظك من جميع جهاتك، وستر عوراتك، وآمن روعاتك، فأنى لفيروس كورونا أو غيره من الشرور والآفات أن تصل إليك، أو يكون لها عليك سبيل؟!!

وعن عثمان بن مَوْهَبٍ الهاشمي قال: سمعت أنسَ بن مالكٍ يقول: قال النبي ﷺ لفاطمةَ:

«مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ؟! أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ [أَبَدًا]»[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤) وغيره، وصححه الألباني.

(٢) «سبل السلام» (٤/٢٢١)..

(٣) أخرجه النسائي (صفحة ٣٨١/ رقم ٥٧٠)، وابن السني (رقم ٤٨)، والزيادة له، كلاهما في «عمل اليوم والليلة»، وغيرُهما، وهو في «الصحيحة» (٢٢٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله، مُرْنِي بِكلماتٍ أقولُهُنَّ إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ. قال:

«قُلِ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِـمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَ[مِنْ] شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، [وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ]».

قال: «قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»[1].

وفي قوله ﷺ: «وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ»، طلب الوقاية للنفس من اقتراف أي سوء، أو أن تجر ذلك إلى أي مسلم، ويدخل فيه الذنوب بأنواعها، والشرور بأنواعها، فيدخل فيه تعريض نفسه للوباء بإهماله وعدم الاحتراز منه، وكذلك تعريض غيره له، بما بنقل العدوى إليه.

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال:

«مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ قَالَهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَحَطَّ اللهُ عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَهُ اللهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَكُنَّ لَهُ كَعَشْرِ رِقَابٍ، وَكُنَّ لَهُ مَسْلَحَةً[2] مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى آخِرِهِ، وَلَمْ يَعْمَلْ يَوْمَئِذٍ عَمَلًا يَقْهَرُهُنَّ، فَإِنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي فَمِثْلُ ذَلِكَ»[3].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٦٧) واللفظ له، والترمذي (٣٣٩٢)، وله الزيادة الأولى، وغيرهما، والزيادة الثانية للترمذي (٣٥٢٩)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه. وصححهما الألباني.

(٢) الـمَسْلَحة: القوم الذين يحفظون الثغور من العدو. وسُمُّوا مَسْلحة لأنهم يكونون ذوي سلاح، أو لأنهم يسكنون المَسْلحة، وهي كالثغر والمَرْقَب يكون فيه أقوام يَرقُبون العدُوَّ لئلا يَطْرُقَهم على غفلة، فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له. وجَمْعُ الـمَسْلح: مَسالح. «نهاية».

(٣) أخرجه أحمد (٢٣٥٦٨ - طبعة الرسالة) وغيره. وهو في «الصحيحة» برقم (١١٤ و٢٥٦٣).

عند النوم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول:

«اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ، وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيس قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ»(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه أمر رجلًا إذا أخذ مضجعه قال:

«اللَّهُمَّ [أَنْتَ] خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ».

فقال له رجل: أسمعت هذا من عمر؟ فقال: من خير من عمر، من رسول الله ﷺ(٢).

وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ:

«إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنجا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ». فقلتُ أَسْتَذْكِرُهُنَّ: وبرسولك الذي أرسلت. «قَالَ: لَا، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣) وغيره.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٢) وغيره.

(٣) متفق عليه.

قلت: ومن أسلم نفسه إلى الله تعالى، وفوض أمره إليه، وألجأ ظهره إليه، فإن الله سيتكفل بحفظه وحمايته وكلاءته، ولن يضيعه أبدًا، ولن يسلمه إلى مكروه، ولن يعرّضه إلى ضر، من وباء أو غيره من الأدواء والآفات.

في قنوت الوتر

عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: علمني رسول الله ﷺ كلماتٍ أقولهنّ في قنوت الوتر:

«اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتُ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتُ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ، لَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ»(١).

وبالمناسبة لذكر قنوت الوتر، أقول: يستحب القنوت في النوازل، كنازلة ما نحن فيه من الوباء، وما أشدها من نازلة! ويكون في الصلوات الخمس، خصوصًا الفجر، ومحله بعد الركوع من كل صلاة، ويدعو فيه بما تيسر مما يناسب الوباء، مما قدمناه وغيره، ولا يُتَقَصّد دعاء الحسن المتقدم، فإن ذاك مختص بالوتر، والنازلة لها أدعيتها المناسبة لها، واقعًا وحالًا، ولا يطيل في الدعاء ولا يتكلف(٢).

أدعية غير مقيدة بوقت

ومن أجمع ما ورد من ذلك: عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عَلَيَّ النبي ﷺ وأنا أصلي، وله حاجة، فأبطأْتُ عليه، قال:

«يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِجُمَلِ الدُّعَاءِ وَجَوَامِعِهِ».

فلما انصرفتُ قلتُ: يا رسول الله، وما جُمَلُ الدعاء وجوامعه؟ قال:

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٢٥) وغيره، وصحح إسناده الألباني، وانظر «أصل صفة الصلاة» (ص ٩٧٣-٩٧٤).

(٢) ما ذكرته هو ملخص أحكام قنوت النازلة الموافقة للأدلة الصحيحة.

«قُولِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ.

وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

وَأَسْأَلُكَ مِمَّا سَأَلَكَ بِهِ [عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ] مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَعُوذُ بِكَ مِمَّا تَعَوَّذَ مِنْهُ [عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ] مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَمَا قَضَيْتَ لِي مِنْ قَضَاءٍ فَاجْعَلْ عَاقِبَتَهُ رُشْدًا»(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال لأبي طلحة:

«الْتَمِسْ غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى خَيْبَرَ». فخرج بي أبو طلحة مُرْدِفِي وأنا غلام راهقت الحُلُمَ، فكنت أخدم رسول الله ﷺ إذا نزل، فكنت أسمعه كثيرًا يقول:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ». الحديث(٢).

قال ابن القيم(٣): «فاستعاذ من ثمانية أشياء، كل شيئين منها قرينان، فالهم والحَزَن قرينان، والفرق بينهما: أن المكروه الوارد على القلب إما أن يكون على ما مضى أو لما يُستقبَل، فالأول هو الحزن، والثاني الهم.

وإن شئت قلت: الحزن على المكروه الذي فات ولا يتوقع دفعه، والهم على المكروه المنتظر الذي يتوقع دفعه وتأمله».

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٣٩)، واللفظ له، وابن ماجه (٣٨٤٦)، وغيرهما، وصححه الألباني.
وعند ابن ماجه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ».

(٢) متفق عليه، واللفظ للبخاري.

(٣) «مفتاح دار السعادة» (١/١١٣-١١٤)، ولكلامه بقية.

وعن عبد العزيز بن صهيب قال: سأل قتادةُ أَنَسًا: أيُّ دَعوةٍ كان يدعو بها النبيُّ ﷺ أكثرَ؟ قال: كان أكثرُ دَعوةٍ يَدْعُو بها يقول:

«اللَّهُمَّ [رَبَّنَا] آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».

قال: وكان أنسُ إذا أراد أن يَدْعُوَ بدَعوةٍ دعا بها، فإذا أراد أن يَدْعُوَ بدعاء دعا بها فيه(١).

وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة:٢٠١]، قال: «في الدنيا عافية، وفي الآخرة عافية».

قال النووي(٢): «وأظهر الأقوال في تفسير الحسنة في الدنيا أنها العبادة والعافية، وفي الآخرة الجنة والمغفرة».

قال ابن كثير في تفسير الآية: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾: «جمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا، وصَرفت كل شر».

وقال القرطبي(٣): «هذه الآية من جوامع الدعاء التي عمت الدنيا والآخرة. قيل لأنس: ادع الله لنا. فقال: اللـهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار. قالوا: زدنا. قال: ما تريدون؟! قد سألتُ الدنيا والآخرة!!».

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ:

«يَا شَدَّادُ بْنَ أَوْسٍ، إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدِ اكْتَنَزُوا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَاكْنِزْ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ،

---

(١) أخرجه البخاري، والزيادة له، ومسلم، واللفظ له، وغيرهما.

(٢) «شرح مسلم» (١٣/١٧).

(٣) «تفسيره» (٢/٤٣٣).

وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، [أن النبي ﷺ] كان يقول في دعائه:

«اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَمِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيَّ نُورًا، وَمِنْ خَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُورًا، وَأَعْظِمْ لِي نُورًا»(٢).

ومن حصل له النور في كل أجزائه وجهاته، فقد حصل له كل محبوب مرغوب، وحضره السرور والطُّمأنينة والهناء والسعادة، واندفع عنه كل مكروه مرهوب، ودَفعت أنوارُ قلبه وجسده كل شر وضر وبلاء ووباء، فإن النور يقضي على الظلام، فيطرد الأرواح الشريرة، والآفات والأمراض، خصوصًا ما كان منها بسبب الشياطين، كما نبهنا عليه في المقدمة، عند ذكر قول النبي ﷺ: «الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي، وَوَخْزُ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول:

«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَلَّما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه:

«اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧١٣٥) وغيره، وهو في «السلسلة الصحيحة» (٣٢٢٨).

(٢) بعض حديث، متفق عليه، وهذا أحد ألفاظ مسلم (٧٦٣). وهذا الدعاء مما يقال في السجود، كما في رواية النسائي (١١٢١).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٢٠) وغيره.

تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا[١]، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا»[٢].

○○○○○

(١) انظر شرح جملة اليقين (صفحة ١٥١).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢) وغيره، وحسنه الألباني.

أدعية الكرب

دعاء الكرب

وهو أشهرها: عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب:

«لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ [السَّبْعِ]، وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ»(١).

وفي رواية: كان إذا حزبه أمر قال:

«لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»، [ثم يدعو].

وفي رواية : «كَلِمَاتُ الْفَرَجِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ».

شرح هذا الدعاء باختصار

(لا إلٰه إلا الله)؛ أي: لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى، لتفرده بصفات

---

(١) أخرجه البخاري (١١/١٤٥ و١٣/٤٠٥ و٤١٥ – فتح)، ومسلم (٢٧٣٠)، والترمذي (٣٤٣٥) وابن ماجه (٣٨٨٣) وأحمد (١/٢٨٨ و٢٥٤ و٣٣٩ و٣٥٦ وغيرها)، والزيادة الأولى لابن ماجه، وأحمد في بعض رواياته، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٧٧٢) وزاد في آخره: «اصْرِفْ عَنِّي شَرَّ فُلاَنٍ». (قال المناوي في «الفيض»: «ويعيّنه باسمه، فإن له أثرًا بينًا في دفع شره»).

قلت: فيقول هنا: اللهم اصرف عنا هذا الوباء (كورونا).

وهي في «صحيح الجامع» (رقم ٦٨١٦)، وعند البخاري في «الأدب» (رقم ٧٠٣) بلفظ: «اللَّهُمَّ اصْرِفْ شَرَّهُ». وقال الألباني في صحيح الأدب»: «منكرة»!

والرواية الثانية لمسلم وأحمد (١/٢٦٨ و٢٨٠) وله الزيادة، وصحح سنده الألباني على شرط مسلم في «الصحيحة» تحت الحديث (رقم ٢٠٤٥). والرواية الثالثة لابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» (ص ١٠)، وصححها الألباني على شرط الشيخين في المصدر المذكور.

الألوهية، وهي صفات الكمال(١).

قال ابن القيم(٢): «روح هذه الكلمة وسرها: إفراد الرب جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك، من التوكل والإنابة والرغبة والرهبة، فلا يحب سواه، وكل ما يحَب غيره فإنما يحَب تبعًا لمحبته وكونه وسيلة إلى زيادة محبته، ولا يخاف سواه، ولا يرجى سواه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرغب إلا إليه، ولا يرهب إلا منه، ولا يحلف إلا باسمه، ولا ينذر إلا له، ولا يتاب إلا إليه، ولا يطاع إلا أمره، ولا يُتَحَسَّب إلا به(٣)، ولا يستغاث في الشدائد إلا به، ولا يلتجأ إلا إليه، ولا يسجد إلا له، ولا يذبح إلا له وباسمه، ويجتمع ذلك في حرف واحد، وهو: أن لا يعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة».

وقال شيخ الإسلام(٤): «المكروب همته منصرفة إلى دفع ضره وجلب نفعه، فقد يقول: «لا إله إلا الله» مستشعرًا أنه لا يكشف الضر غيرك، ولا يأتي بالنعمة إلا أنت، فهذا مستحضر توحيد الربوبية، ومستحضر توحيد السؤال والطلب، والتوكل عليه، معرض عن توحيد الإلهية الذي يحبه الله ويرضاه ويأمر به، وهو أن لا يعبد إلا إياه ، ولا يعبده إلا بطاعته وطاعة رسوله، فمن استشعر هذا في قوله «لا إله إلا الله» كان عابدًا لله متوكلًا عليه». اهـ.

(العظيم): «معاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان:

أحدهما: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله

---

(١) وتقدم معنى لا إله إلا الله بالتفصيل، ومعنى سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، (صفحة ١٩، وما بعدها).

(٢) «الجواب الكافي» (ص ٢٣٣).

(٣) أي : أن لا يقال : حسبي فلان (أي: كافيني)، بل «حسبي الله» وحده.

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٠/٢٧٨-٢٧٩).

وأعظمه وأوسعه.

النوع الثاني من معاني عظمته تعالى: أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظَّم كما يعظَّم الله، فيستحق جل جلاله من عباده أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم، ويعظموا شعائره وحرماته»[١].

(الحليم): «الذي له الحلم الكامل الذي وسع أهل الكفر والفسوق والعصيان، حيث أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة عسى أن يتوبوا، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم، فإن الذنوب تقتضي ترتب آثارها عليها من العقوبات العاجلة المتنوعة، ولكن حلمه سبحانه هو الذي اقتضى إمهالهم»[٢].

(العرش): هو سقف المخلوقات وأكبرها وأوسعها، (الكريم)؛ أي: العظيم المجيد.

وحقيقة تربيته سبحانه لخلقه ـ كما قال ابن سعدي[٣] ـ: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر، ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب، فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة». اهـ.

قال الحافظ[٤]: «قال الطِّيبي صَدَّر هذا الثناء بذكر الرب ليناسب كشف الكرب، لأنه مقتضى التربية، وفيه التهليل المشتمل على التوحيد، وهو أصل التنزيهات الجلالية، والعظمة التي تدل على تمام القدرة، والحلم الذي يدل على العلم، إذ الجاهل لا يُتَصَوَّر منه حلم ولا كرم، وهما أصل الأوصاف الإكرامية».

وقال النووي في هذا الحديث[٥]: «هو حديث جليل، ينبغي الاعتناء به

---

(١) «الحق الواضح المبين» (ص ٢٧ - ٢٨).

(٢) «شرح القصيدة النونية» للهراس (٨٦/٢).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (٢٨/١).

(٤) «الفتح» (١٤٦/١١).

(٥) «شرح مسلم» (٤٧/١٧).

والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة. قال الطبري: كان السلف يدعون به ويسمونه دعاء الكرب».

يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث

تقدم حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل به هم أو غم قال:

«يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»[1].

الله الله ربي لا أشرك به شيئاً

عن ثوبان رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان إذا راعه[2] شيء قال:

«اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا شَرِيكَ لَهُ»[3].

وعن أسماء بنت عُمَيْسٍ رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ:

«أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ - أَوْ فِي الْكَرْبِ -؟ اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[4].

وفي لفظ[5]: قالت: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن عند الكرب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

وفي لفظ آخر[6]: قالت: سمعت رسول الله ﷺ بِأُذُنَيَّ هاتين يقول:

---

(١) أخرجه الحاكم (٥٠٩/١)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (رقم ٤٦٦٧). وأخرجه الترمذي (٣٥٢٤) وابن السني (٣٣٧)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا حَزَبَه (وعند الترمذي : كَرَبَه) أمر قال: « يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ». وحسنه الألباني في «تخريج الكلم» (ص ٧٢).

(٢) أي: أفزعه.

(٣) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٦٥٧)، وعنه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٣٣٧)، وهو في «صحيح الجامع الصغير» (رقم ٤٦١٤).

(٤) أخرجه أبو داود (١٥٢٥)، وابن ماجه (٣٨٨٢)، وغيرهما، وصححه الألباني.

(٥) عند الطبراني في «الكبير» (٢٤/ رقم ٣٦٣).

(٦) عند الطبراني في «الكبير» (٢٤/ رقم ٣٩٦)، وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٥٩١٦).

«مَنْ أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ غَمٌّ أَوْ سَقَمٌ[1] أَوْ شِدَّةٌ فَقَالَ: اللهُ رَبِّي لَا شَرِيكَ لَهُ، كُشِفَ[2] ذَلِكَ عَنْهُ»؟

قال المناوي[3]: «هذه أمور مظلمة تورد على القلب سحائب متراكمات مظلمة، فإذا فَرّ إلى ربه، وسلم أمره إليه، وألقى نفسه بين يديه، من غير شركة أحد من الخلق، كشف عنه ذلك، فأما من قال ذلك بقلب غافل لاهٍ فهيهات!».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لنفر من بني هاشم: «هَلْ مَعَكُمْ أَحَدٌ مِنْ غَيْرِكُمْ؟» قالوا: لا، إلا ابن أختنا أو مولانا. فقال:

«إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ هَمٌّ أَوْ لَأْوَاءٌ[4] فَلْيَقُلْ: اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[5].

وفي لفظ: عن عائشة، أن النبي ﷺ جمع أهل بيته، فقال:

«إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ غَمٌّ أَوْ كَرْبٌ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي، لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

قال المناوي[6]: «(الله الله)، كرَّره استلذاذًا بذكره، واستحضارًا لعظمته، وتأكيدًا للتوحيد، فإنه الاسم الجامع لجميع الصفات الجلالية والجمالية والكمالية. (ربي)؛ أي: المحسن إلي بإيجادي من العدم، وتوفيقي لتوحيده وذكره، والمربي لي بجلائل نعمه، والمالك الحقيقي لشأني كله.

ثم أفصح بالتوحيد وصرح بذكره المجيد، فقال: (لا أشرك به شيئًا)، وفي

---

(١) أي: مرض.

(٢) أي: رُفع وأُزيل.

(٣) «فيض القدير» (٦/٦٦).

(٤) شدة وضيق معيشة.

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٢٩٠)، وابن حبان (٢٣٦٩ - موارد)، باللفظ الثاني، وهو في «السلسلة الصحيحة» (٢٧٥٥).

(٦) «فيض القدير» (١/٢٨٥).

رواية : (لا شريك له)؛ أي: في كماله وجلاله وجماله، وما يجب له وما يستحيل عليه، والمراد أن ذلك يفرّج الهم والغم والضنك والضيق، إن صدقت النية وخلصت الطَّوِية».

اللهم رحمتك أرجو. . .

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ[1]: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[2].

قال العظيم آبادي[3]: «(اللـهم رحمتك أرجو)؛ أي: لا أرجو إلا رحمتك. (فلا تكلني)؛ أي: لا تتركني. (إلى نفسي طرفة عين)؛ أي: لحظة ولمحة. (وأصلح لي شأني)؛ أي: أمري. (كله)؛ تأكيد لإفادة العموم».

حسبنا الله ونعم الوكيل

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٤].

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣][4].

---

(١) أي: المغموم والمحزون؛ أي: الدعوات النافعة له المزيلة لكربه. «فيض القدير».

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٩٠) وغيره، وحسنه الألباني.

(٣) «عون المعبود» (٤٣٤/١٣).

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٩/٨-فتح) وغيره.

قال ابن سعدي(١): «﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾؛ أي: كافينا كل ما أهمنا. ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، المُفَوَّضُ إليه تدبير عباده، والقائم بمصالحهم».

وقال السيوطي(٢): «﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾؛ أي: كافينا، وهي كلمة يدفع بها ما يُخاف ويُكره».

وقال ابن جُزَيٍّ(٣): «معنى: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾: كافينا وحده، فلا نخاف غيره. ومعنى: ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾: ثناء على الله، وأنه خير مَنْ يَتوكل العبدُ عليه ويَلجأ».

وقوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾، فهذا عاقبة هذه الكلمة العظيمة لمن قالها صادقًا مؤمنًا مستيقنًا بها، وهو الرجوع بنعم الله المتظاهرة، وزيادة عليها لا يعلم قدرها إلا من أولاها، والعافية من كل سوء وأذى، فما أعظمها من كلمة! وما أجلها من عاقبة! لو تأملها اللبيب!

وقال بعض الصالحين: «عجبت لمن خاف ولم يفزع إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾! فإني سمعت الله عقبها يقول: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾».

رب إني مسني الضر
وأنت أرحم الراحمين

قال الله سبحانه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ(٤) وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (١/٢٩٤).

(٢) «معترك الأقران» (٢/١٤٧).

(٣) «التسهيل» (ص ١٠١).

(٤) (الضر) الذي أصابه عليه الصلاة والسلام بينه الله تعالى في قوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص:٤١]. و(النُّصْب): التعب والمشقة، و(العذاب): الألم؛ كما في «أضواء البيان» (٤/٦٨٠).

عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤].

فتوسل عليه الصلاة والسلام إلى الله بالإخبار عن حال نفسه، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ، وبرحمة ربه الواسعة العامة ؛ فاستجاب الله له[١].

قال القاسمي عند تفسير هذه الآية[٢]: «إن من أسباب الفرج دعاءه تعالى والابتهال إليه والتضرع له، وذكره بأسمائه الحسنى وصفاته العليا».

وقال ابن القيم[٣]: «جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه، ووجود طعم المحبة في التملق له[٤]، والإقرار له بصفة الرحمة، وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته سبحانه، وشدة حاجته هو وفقره، ومتى وجد المبتلَى هذا كُشِفَت عنه بلواه».

لا إله إلا أنت
سبحانك إني كنت من الظالمين

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

قال ابن سعدي[٥]: «﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾، وهذا وعد وبشارة لكل مؤمن وقع في شدة وغم أن الله تعالى سينجيه منها ويكشف عنه ويخفف لإيمانه، كما فعل بيونس عليه السلام».

---

(١) انظر «تيسير الكريم الرحمن» (٣/٢٩٤).

(٢) «محاسن التأويل» (١١/٢٨١).

(٣) «الفوائد» (ص ٢٥٩).

(٤) أي: التودد إليه والمبالغة في التضرع والتذلل.

(٥) «تيسير الكريم الرحمن» (٣/٢٩٦).

وقال الشنقيطي[1]: «﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، يدل على أنه ما من مؤمن يصيبه الكرب والغم فيبتهل إلى الله تعالى داعيًا بإخلاص إلا نجاه الله من ذلك الغم، ولا سيما إذا دعا بدعاء «يونس» هذا».

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ»[2].

وفي لفظ[3]: قال رضي الله عنه: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ قال

«أَلَا أُخْبِرُكُمْ (أو: أُحَدِّثُكُمْ) بِشَيْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَرْبٌ أَوْ بَلَاءٌ مِنْ بَلَاءِ الدُّنْيَا دَعَا بِهِ فُرِّجَ عَنْهُ؟» فقيل له: بلى. قال:

«دُعَاءُ ذِي النُّونِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ».

قال ابن القيم[4]: «أما دعوة ذي النون، فإن فيها من كمال التوحيد والتنزيه للرب تعالى، واعتراف العبد بظلمه وذنبه[5] ما هو من أبلغ أدوية الكرب والهم والغم، وأبلغ الوسائل إلى الله سبحانه في قضاء الحوائج، فإن التوحيد والتنزيه يتضمنان إثبات كل كمال لله، وسلب كل نقص وعيب وتمثيل عنه، والاعتراف بالظلم يتضمن إيمان العبد بالشرع والثواب والعقاب، ويوجب انكساره ورجوعه إلى الله، واستقالته عثرته، والاعتراف بعبوديته وافتقاره إلى ربه، فههنا أربعة أمور قد وقع التوسل بها: التوحيد، والتنزيه، والعبودية، والاعتراف».

---

(١) «أضواء البيان» (٦٨٦/٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٠٥) وغيره، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٦٥٥) وغيره. وهو في «الصحيحة» (١٧٤٤).

(٤) «زاد المعاد» (٢٠٨/٤).

(٥) قال شيخ الإسلام (مجموع الفتاوى» (٢٥٤/١٠): «ليس لأحد من العباد أن يُبرِّئ نفسه عن هذا الوصف (يعني: الظلم)، لا سيما في مقام مناجاته لربه».

أفوض أمري إلى الله
إن الله بصير بالعباد

قال الله تبارك وتعالى حاكيًا عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ۝ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٤-٤٥].

قال ابن سعدي[1]: «﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: ألجأ إليه وأعتصم، وأُلقي أموري كلها لديه، وأتوكل عليه في مصالحي، ودفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾؛ يعلم أحوالهم وما يستحقون، يعلم حالي وضعفي فيمنعني منكم ويكفيني شركم، ويعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته ومشيئته، فإن سلطكم عليّ فبحكمة منه تعالى، وعن إرادته ومشيئته صدر ذلك.

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾؛ أي: وقى اللهُ القويُّ ذلك الرجل المؤمن الموفق عقوباتِ ما مكر فرعون وآله له، ومن إرادة إهلاكه وإتلافه، لأنه بادأهم بما يكرهون، وأظهر لهم الموافقة التامة لموسى عليه السلام، ودعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا يحتملونه، وهم الذين لهم القدرة إذ ذاك، وقد أغضبهم واشتد حَنَقهم عليه، فأرادوا به كيدًا فحفظه الله من كيدهم ومكرهم، وانقلب كيدهم ومكرهم على أنفسهم».

وقال بعض الصالحين[2]: «عجبت لمن خاف ولم يفزع إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]! فإني سمعت الله عَقِبَها يقول:

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٥/٦٦٢).

(٢) ونسبت إلى جعفر الصادق رحمه الله!

﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ ﴾ [آل عمران: ١٧٤]..

وعجبت لمن اغتم ولم يفزع إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧]! فإني سمعت الله عَقِبَها يقول: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٨].

وعجبت لمن مُكِر به ولم يفزع إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [غافر:٤٤]! فإني سمعت الله عَقِبَها يقول: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ﴾ [غافر:٤٥].

وعجبت لمن طلب الدنيا ولم يفزع إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف:٣٩]! فإني سمعت الله عَقِبَها يقول: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا * فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ [الكهف:٣٩-٤٠].

إنا لله وإنا إليه راجعون

قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧].

وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي(١) فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا».

قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتها، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ. قالت: أرسل إلي

(١) أي: أعطني أجري وجزاء صبري وهمي في مصيبتي. «نووي».

رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بَلْتَعَةَ يَخْطُبني له، فقلت: إن لي بنتًا وأنا غيور. فقال: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ»(١).

قال ابن القيم(٢): «وهذه الكلمة (يعني: إنا لله وإنا إليه راجعون) من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له في عاجلته و آجلته، فإنها تتضمن أصلين عظيمين، إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته.

أحدهما: أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة، وقد جعله عند العبد عارية، فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير، وأيضًا فإنه محفوف بعدمين: عدم قبله، وعدم بعده، وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير، وأيضًا، فإنه ليس الذي أوجده عن عدمه حتى يكون ملكه حقيقة، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده، ولا يُبقي عليه وجوده، فليس له فيه تأثير ولا ملك حقيقي، وأيضًا، فإنه متصرف فيه بالأمر تصرف العبد المأمور المنهي، لا تصرف المَلّاك، ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه إلا ما وافق أمر مالكه الحقيقي.

والثاني: أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق، ولا بد أن يُخلِّف الدنيا وراء ظهره، ويجيء ربَّه فردًا كما خلقه أول مرة، بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن بالحسنات والسيئات، فإذا كانت هذه بداية العبد وما خُوِّله ونهايته فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود؟! ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء».

وقال ابن سعدي(٣): «من كمال عبودية العبد علمه بأن وقوع البلية من المالك الحكيم، الذي هو أرحم بعبده من نفسه، فيوجب له ذلك الرضا عن الله، والشكر له على تدبيره لما هو خير لعبده، وإن لم يشعر بذلك».

---

(١) أخرجه مسلم (٩١٨) وغيره.

(٢) «زاد المعاد» (١٨٩/٤).

(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (١٢٠/١).

الصلاة على النبي ﷺ

عن أُبَيِّ بن كَعْبٍ رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللهَ، اذْكُرُوا اللهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ».

قال أُبَيٌّ: قلت: يا رسول الله، إني أُكْثِرُ الصلاة عليك، فكم أَجْعَلُ لك من صلاتي؟ فقال: «مَا شِئْتَ». قال: قلت: الرُّبُعَ. قال: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قلت: النصفَ. قال: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قال: قلت: فالثُّلُثين، قال: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قلت: أَجْعَلُ لك صلاتي كلَّها قال:

«إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»(١).

وفي رواية: «إِذَنْ يَكْفِيَكَ اللهُ مَا أَهَمَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ».

قول أُبيّ: (كم أجعل لك من صلاتي؟)؛ أي: كم أجعل من دعائي صلاة عليك؟ قاله المنذري(٢).

قلت: يعني من دعائه النافلة الذي يدعوه لنفسه خاصة، زيادة على ما أُمِر به وجوبًا أو استحبابًا.

وقول النبي ﷺ: (إذن تُكفى همَّك، ويُغفر لك ذنبُك)، قال المباركفوري(٣): «الهم: ما يقصده الإنسان من أمر الدنيا والآخرة، يعني: إذا صَرفتَ جميع أزمان دعائك في الصلاة علَيَّ أُعطيت مرام الدنيا والآخرة».

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٧)، وأحمد (١٣٦/٥) بالرواية الثانية، وغيرهما، وحسنه الألباني.

(٢) «الترغيب» (٢٠٥/٢).

(٣) «تحفة الأحوذي» (١٥٤/٧).

وقال الشوكاني[1]: «في هاتين الخصلتين جماع خير الدنيا والآخرة، فإن من كفاه الله همه سلم من محن الدنيا وعوارضها، لأن كل محنة لا بد لها من تأثير الهم وإن كانت يسيرة، ومن غفر الله ذنبه سلم من محن الآخرة، لأنه لا يوبِقُ العبدَ فيها إلا ذنوبُه».

وقال الحافظ[2]: «ذكر الأديب شهاب الدين بن أبي حَجَلَة في جزء له جمعه في الطاعون[3]، أن بعض الصالحين ذكر له، أن من أعظم الأشياء الدافعة للطاعون وغيره من البلايا العظام: كثرة الصلاة على النبي ﷺ، و أنه ذكر ذلك للشيخ شمس الدين ابن خطيب يبرود، فاستصوبه، و استدل له بحديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه».

صيغة الصلاة على النبي ﷺ

وتحصل الصلاة على النبي ﷺ بأي صيغة كانت، ولو بأقصر وأخصر صيغة، كأن تقول: اللهـم صلِّ على النبي. أو اللهـم صلِّ على محمد، أو صلى الله عليه وسلم. أو اللهـم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، وينبغي أن يكون الغالب هو الجمع بين الصلاة عليه والتسليم ﷺ، لا الاقتصار على إحداهما، كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦].

وأكمل صلاة عليه ﷺ تكون بإحدى الصيغ الواردة في جلسة تشهد الصلاة، وهي كثيرة، وهذه إحداها:

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عُجْرَةَ، فقال: ألا أُهْدِي

---

(١) «تحفة الذاكرين» (ص ٣٠).

(٢) «بذل الماعون» (ص ٣٣٣).

(٣) واسمه: «الطب المسنون في دفع الطاعون».

لك هديةً سمعتُها من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى، فَأَهْدِها لي، فقال: سألْنا رسولَ الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال:

«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»(١).

قال ابن القيم(٢): «وأكمل ما يُصَلَّى عليه به ويَصِلُ إليه هي الصلاة الإبراهيمية، كما عَلَّمَه أُمَّته أن يُصَلُّوا عليه، فلا صلاة عليه أكمل منها، وإن تَحَذْلَقَ المتحذلقون».

وهذه الصيغة ونحوها مما ورد تقال غالبًا في الصلاة، وأما خارج الصلاة: فإذا ذكر المسلم النبيَّ ﷺ، أو سمع اسمه، فإنما يصلي عليه بالصيَغ المختصرة، كما تقدم، هكذا كان هدي السلف رحمهم الله ورضي عنهم، ولم يكن أحدهم يصلي عليه بالصلاة الإبراهيمية في مثل هذه الحال!

معنى الصلاة على النبي ﷺ

قال البخاري في «صحيحه»(٣): «قال أبو العالية: صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء».

وقال الحافظ(٤): «أولى الأقوال في معنى الصلاة على النبي ﷺ قول أبي العالية: إن معنى صلاة الله على نبيه: ثناؤه عليه وتعظيمه، وصلاة الملائكة وغيرهم عليه:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٨/٦ بحرفه و٥٣٢/٨ و١٥٢/١١ - فتح)، ومسلم (٤٠٦)، وغيرهما.

(٢) «زاد المعاد» (٣٥٧/٢)

(٣) (٥٣٢/٨ - فتح). وقول أبي العالية رواه القاضي المالكي بإسناده في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (رقم ٩٥). وقال الألباني: «إسناده موقوف حسن».

(٤) انظر «فتح الباري» (١٥٦/١١).

طلب ذلك له من الله تعالى، والمراد طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة».

(وآل محمد) ﷺ: هم أزواجه وذريته وأهل بيته[1].

وقوله: (اللهـم بارك)؛ البركة: النماء والزيادة، والتبريك: الدعاء بذلك[2].

قلت: فمعنى اللهـم بارك على محمد: اللهـم اجعل عليه الخيرات الكثيرة المستمرة الدائمة، ونمها وزدها.

قال ابن القيم[3]: «فهذا الدعاء يتضمن إعطاءه من الخير ما أعطاه لآل إبراهيم، وإدامته وثبوته له، ومضاعفته له وزيادته، هذا حقيقة البركة».

فضل الصلاة على النبي ﷺ

وفي فضل الصلاة على النبي ﷺ، إضافة إلى ما تقدم، أحاديث كثيرة، منها:

عن عُمَيْرٍ الأنصاري رضي الله عنه وكان بدريًّا قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي صَلَاةً مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ»[4].

قلت: هذا أجمع لفظ وقعت عليه في فضل الصلاة على النبي ﷺ.

وعن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله ﷺ يومًا طيب النفس يُرَى في وجهه البِشْر، قالوا: يا رسول الله، أصبحت اليوم طيب النفس، يُرَى في وجهك البِشْر. قال:

«أَجَلْ، أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً

---

(١) «جلاء الأفهام» (ص ١٢٦).

(٢) «جلاء الأفهام» (ص ١٧٨).

(٣) «جلاء الأفهام» (ص ١٨١).

(٤) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (رقم ٦٤) وغيره. وهو في «السلسلة الصحيحة» برقم (٣٣٦٠).

كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا»(١).

وعن عامر بن رَبِيعَةَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيَّ، إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ»(٢).

وعن أَوْسِ بن أَوْسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ».

قال: قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْتَ (يقولون: بَلِيتَ)؟ فقال:

«إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»(٣).

وتقدم عند ذكر أسباب استجابة الدعاء حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ»(٤).

○○○○○

---

(١) أخرجه أحمد (٢٩/٤) وغيره. وهو في «صحيح الجامع» (رقم ٥٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٩٠٧) وغيره، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه أبو داود (١٠٤٧ و١٥٣١) وغيره، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه ابن مَخْلَد في «المنتقى» (رقم ٤٠) وغيره. وهو في «الصحيحة» (٢٠٣٥).

أدعية العافية

شأن العافية

اعلم أن شأن العافية عظيم، ولا يعرف قَدْرها إلا من فقدها، وذاق طعم البلاء بعدها، وهي للجسد مثل الإيمان للقلب، إذا فقده فسد وتألم وتعذب، وكذلك عافية الأبدان، لولاها لحل بالجسد الفساد والآفات والآلام، وتنغصت عليه الحياة، وفقد الراحة والاطمئنان، وقد نبه النبي ﷺ إلى هذا، فذَكَر العافيتين، وقَرَن بين النعمتين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا بكر رضوان الله عليه على هذا المِنبر يقول: سمعت رسول الله ﷺ هذا اليوم عامَ أَوَّلٍ يقول، ثم اسْتَعْبَرَ أبو بكر رضوان الله عليه فبكى، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لَنْ تُؤْتَوْا شَيْئًا بَعْدَ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ مِثْلَ الْعَافِيَةِ، فَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ»(١).

وعن رِفاعةَ بن رافع الأنصاري رضي الله عنه قال: قام أبو بكر الصديق، على المِنبر ثم بكى فقال: قام رسول الله ﷺ عامَ الأولِ على المِنبر ثم بكى فقال:

«اسْأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»(٢).

وقال ﷺ: «وَعَافِنِي فِي دِينِي وَجَسَدِي»(٣).

فالعافية تكون في الدين بالإيمان والعمل الصالح، الذي به تصلح القلوب والنفوس، وتتعافى من أمراضها، وتطمئن وتسكن، وتحضر أفراحها ولذاتها، كما تكون في الجسد بصحته وسلامته، وخلوه من الأمراض والآفات، وتكون كذلك في الأهل والمال والولد.

---

(١) أخرجه ابن حبان (٩٥٠/٢٣٠/٣) وغيره، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٥٨) وغيره، وقال الألباني: «حسن صحيح».

(٣) بعض حديث، أخرجه الحاكم (٧٠٩/١) وغيره، وهو في «صحيح الجامع» (١٢٦٩).

فالعافية في الجسد: الصحة التامة. والصحة الجيدة. والعافية: النجاة من الأمراض والأسقام، أو الشفاء والبُرْء منها. والعافية: اندفاع السوء والبلاء. والعافية: الحفظ.

كل هذا عافية، وسؤالُ اللهِ تعالى العافيةَ في الجسد هو طلب حصول هذا كله.

فهي بكلمة جامعة: الصحة التامة، والسلامة الكاملة[1].

والعافية هي المُلْك الخَفِيّ، والعَيش الهني.

وعن عُبَيْدِ الله بن مِحْصَنٍ الخَطْمِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا [بِحَذَافِيرِهَا]»[2].

وقال أكثم بن صيفي: العافية المُلْك الخَفِيّ[3].

وعن وَهْبِ بن مُنَبِّهٍ قال: مكتوب في حكمة آل داود: العافية المُلْك الخَفِيّ[4].

وقيل (وعُزِيَ إلى الإنجيل): العافية مُلْك خَفِيّ، والهم نصف الهَرَم[5].

وقيل: العافية المُلْك الخَفِيّ الهَنِيّ[6].

وعن أبي الدرداء أنه كان يقول: الصحة غنى الجسد[7].

ومن كلامهم البليغ يغبطون به صاحب العافية قولهم: إليك انتهت الأماني يا

---

(١) منقول من مقدمة كتابي «شأن العافية» أو «المُلك الخفي».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٤٦) وغيره، والزيادة لابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢١٢٦)، وهو في «الصحيحة» (٢٣١٨).

(٣) «نثر الدر» (١٠٩/٤).

(٤) «جامع العلوم والحكم» (٧٦/٢).

(٥) «التمثيل والمحاضرة» (ص ١٤).

(٦) «محاضرات الأدباء» (٤٠٩/٢).

(٧) «جامع العلوم والحكم» (٧٠٩/٢). وانظر «الشكر» لابن أبي الدنيا (رقم ١٠٠-١٠٢).

صاحب العافية.

ورُوِي مرفوعًا ولا يصح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِلَيْكَ انْتَهَتِ الْأَمَانِيُّ يَا صَاحِبَ الْعَافِيَةِ»[(١)].

فمهما تمنى المتمنون، وتأمل المتأملون، فلن يجدوا أفضل من العافية، فإليها مستقر أمانيهم، ومرجع مطالبهم، فهي الغاية والنهاية.

ومن أعجب ما وقعت عليه من ذلك، ما في «ربيع الأبرار»[(٢)]: لما خلق الله العافية قال لها: صَلِّ[(٣)]. قالت: أسألك العافية.

وقال الثعالبي[(٤)]: أحسن ما قيل في مدح الصحة وذم المرض قول بشار ابن برد:

إني وإن كان جمع المال يعجبني ... فليس يَعدل عندي صِحةَ الجسد

في المال زَيْنٌ وفي الأولاد مَكْرُمَةٌ ... والسُّقْم ينسيك ذِكرَ المال والولد

وقول عنترة[(٥)]:

المال للمرء في معيشته ... خيرٌ من الوالدين والولدْ

وإن تَدُمْ نعمةٌ عليه تَجِدْ ... خيرًا مِن المال صِحةَ الجسدْ

وما بمَنْ نال فَضْلَ عافيةٍ ... وقُوتَ يومٍ فَقْرٌ إلى أحدْ

وقال ابن القيم[(٦)]: من تربى في العافية لا يعرف ما يقاسيه المُبْتَلَى، ولا يَعرف مقدار العافية.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨/٧ - ٦٦٩٤) وغيره، وهو في «السلسلة الضعيفة» (٢٩٢٠).

(٢) (١٦٥/٣). ولم يَعْزُه، ومثله يحتاج إلى دليل، ودونه خرط القتاد.

(٣) أي: ادعي. ولعلها: سَلِي.

(٤) «أحسن ما سمعت» (ص ٩٥).

(٥) تقديم عنترة المال على الوالدين وتفضيله عليهما مستهجن مردود، وقد ذكرت في كتابي «شأن العافية» ما يُلتمس له به العذر.

(٦) «طريق الهجرتين» (ص ١٧٠)، و«مفتاح دار السعادة» (٢٩٣/١).

وقال[1]: لولا خَلْق أنواع البلاء لما عُرِفَ قَدْرُ العافية.

وما أحسن ما قال أبو الأزهر[2]:

مــــا أنعـــم الله على عبـــدهِ بنعمـــة أوفى مـــن العافيـــهْ

وكلُّ مَـــنْ عُـــوفيَ في جســـمهِ فإنـــه في عيشـــة راضـــيهْ

أفضل دعوة

وسؤال العافية هو أفضل دعوة يدعوها العبد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال لعَمّه العباسِ:

«يَا عَمِّ، أَكْثِرِ الدُّعَاءَ بِالْعَافِيَةِ»[4].

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، علمني شيئًا أسألُه اللهَ عز وجل. قال: «سَلِ اللَّهَ الْعَافِيَةَ».

فمكثت أيامًا، ثم جئت فقلت: يا رسول الله، علمني شيئًا أسألُه اللهَ. فقال لي:

«يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ العَافِيَةَ، فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[5].

قال ابن الجَزَري[6]: فلينظر العاقل مقدار هذه الكلمة التي اختارها رسول الله

---

(١) «شفاء العليل» (ص ٢٢٢).

(٢) «خريدة القصر» (١٧٥/١).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٨٥١) وغيره، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٣٠/١١/ رقم ١١٩٠٨)، و«الدعوات الكبير» (٣٦٨/١/ رقم ٢٨١) وغيره، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٥٢٣).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٥١٤) وغيره، وصححه الألباني.

(٦) «عدة الحصن الحصين» (ص ٤٦٢ – تحفة الذاكرين).

ﷺ لعمه من دون الكَلِم، وليُؤْمِن بأنه ﷺ أُعطِيَ جوامعَ الكَلِم، واختُصِرت له الحِكَم، فإن من أُعطِيَ العافية فاز بما يرجوه ويحبه، قلبًا وقالبًا، ودينًا ودنيا، ووُقِيَ ما يخافه في الدارين، عِلمًا يقينًا، فلقد تواتر عنه ﷺ دعاؤه بالعافية، وورد عنه ﷺ لفظًا ومعنًى من نحو خمسين طريقًا، هذا وقد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو المعصوم على الإطلاق حقيقة، فكيف بنا ونحن عُرْضٌ لسهام القدر، وغَرَضٌ بين النفس والشيطان والهوى؟! اهـ.

وقال الشوكاني[1]: «وفي أمره ﷺ للعباس بالدعاء بالعافية بعد تكرير العباس سؤاله بأنه يعلمه شيئًا يسأل الله به دليل جَلِيّ بأن الدعاء بالعافية لا يساويه شيء من الأدعية، ولا يقوم مقامه شيء من الكلام، الذي يُدعَى به ذو الجلال والإكرام».

أدعية العافية

اعلم أن الأدعية المتضمنة لطلب العافية كثيرة متنوعة، يصعب حصرها، وأنا ذاكر لك جملة من أمهاتها، وتجد غيرها مدونًا في كتابي «شأن العافية».

الحمد على العافية
عند الاستيقاظ من النوم

ليكن أول ما تبدأ به يومك يا عبد الله، وأول ما تستيقظ عليه من نومك، أن تحمد الله عز وجل، أن عافاك في جسدك، وأَرسل رُوحك، وردها عليك، وأَنْسَأ لك في أجلك، وأَذِن لك بذكره سبحانه، فما أعظمها من نعمة! وما أجلها من عطية! تستحق منك أداء شكرها، بأن تَلْهَج بالثناء على الله عز وجل وشكره، وتستعمل بدنك في طاعته، وتجنبه معصيته، كما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) «تحفة الذاكرين» (ص ٤٦٢).

«إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ عَنْ فِرَاشِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنِفَةِ[1] إِزَارِهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ بَعْدُ، فَإِذَا اضْطَجَعَ فَلْيَقُلْ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، فَإِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ.

فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ»[2].

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام قال:

«بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا». وإذا استيقظ من منامه قال:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»[3].

وانظر عبد الله كم حولك من مبتلى! وكم حولك من مريض! وكم حولك ممن ترى وتسمع من موبوء، قد نشب فيه فيروس الكورونا، وعافاك الله دونهم، وسلّمك وأهلك من بينهم! فما أجدرك بشكر مولاك وحمده والثناء عليه!

واعلم أنك إن باشر قلبك حمد الله تعالى، وصدقت فيه، فإنك لن تصاب بهذا الوباء أبدًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ رَأَى مُبْتَلًى فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ»[4].

وعن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) هي حاشية الإزار التي تلي جسده. «طِيبي».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٠١)، بهذا اللفظ، وحسنه الألباني. وهو بنحوه في «الصحيحين»، دون قوله: «فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَلْيَقُلْ...» إلخ.

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٢٤)، وفي مواضع أخرى، وأخرجه (٦٣٢٥)، وفي مواضع أخرى، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وأخرجه مسلم (٢٧١١)، من حديث البراء رضي الله عنه، كلاهما بألفاظ متقاربة.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٤٣٢) وغيره، وصححه الألباني.

«مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ فَقَالَ[(١)]: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ، كَائِنًا مَا كَانَ، مَا عَاشَ»[(٢)].

قلت: وما أجمل أن يكون هذا الدعاء من المسلم بديلًا عن الشماتة بالمبتَلى والمصاب! إذ الشماتة لا تليق بمسلم رحيم، ولا تصدر عن ذي خلق كريم.

وقد قيل[(٣)]:

إذا تَرى المبتلَى اشكر أَنْ نجوتَ ولا ... تَشْمتْ به ولْتَسَلْ من ربك العافيهْ
وخَفْ من أن تُبتلَى كما ابتُلِيَ فترَى ... كما تَراه وما تَقيك من واقيهْ

سؤال العافية عند النوم

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه أمر رجلًا إذا أخذ مضجعه قال:

«اللَّهُمَّ [أَنْتَ] خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ».

فقال له رجل: أسمعت هذا من عمر؟ فقال: من خير من عمر، من رسول الله ﷺ[(٤)].

سؤال العافية
في الصباح والمساء

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال لأبيه يا أبتِ إني أسمعك تدعو كلَّ غداةٍ:

«اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»، تُعيدُها ثلاثًا حين تصبحُ، وثلَاثًا حين تمسي!

---

(١) ويقوله سرًّا، دون أن يُسْمِع المبتلَى، فإن ذلك يؤلمه، والمطلوب مواساته، والتخفيف عنه، والدعاء له بالعافية.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٣١) وغيره، وحسنه الألباني.

(٣) «نفح الطيب» (٥/٥٤٦).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧١٢) وغيره. وتقدم (صفحة ٧٥).

وتقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»، تعيدُها حين تصبحُ ثلاثًا، وثلاثًا حين تمسي!

قال: نعم يا بُنَيَّ، إني سمعتُ النبيَّ ﷺ يدعو بهنَّ، فأُحبُّ أن أَسْتَنَّ بسنته.

قال: وقال النبي ﷺ: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، [وَ]أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[1].

وعن جُبَيْرِ بن أبي سليمان بن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ قال: سمعت ابن عمر يقول: لم يَكُنْ رسولُ الله ﷺ يَدَعُ هؤلاء الدعواتِ حين يمسي وحين يصبح:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فِي دِينِي وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي». قال أبو داود: قال وكيعٌ: يعني الخَسْفَ[2].

سؤال العافية في قيام الليل

عن عاصم بن حُمَيْدٍ قال: سألت عائشة: بما كان رسول الله ﷺ يَستفتح قيامَ الليل؟ قالت: لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحدٌ قبلك، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكَبِّرُ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ عَشْرًا، وَيُسَبِّحُ عَشْرًا، وَيُهَلِّلُ عَشْرًا، وَيَسْتَغْفِرُ عَشْرًا، وَيَقُولُ:

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي، وَعَافِنِي، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ضِيقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٩٠)، وأحمد (٢٠٤٣٠ - ط الرسالة)، واللفظ له، وغيرهما، وحسنه الألباني. وقد تقدم.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، وغيره، وصححه الألباني. وقد تقدم مع شرح بعض ألفاظه (صفحة ٧٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٧٦٦)، والنسائي (١٦١٧ و٥٥٣٥)، وغيرهما، وصححه الألباني.

الاستعاذة بمعافاة الله من عقوبته

عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدتُ رسولَ الله ﷺ ليلةً من الفراش فالتمسْتُهُ فوقعتْ يَدِي على بَطْنِ قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان، وهو يقول:

«اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»(١).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أن رسول ﷺ كان يقول في آخر وتره:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَ[أَعُوذُ] بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»(٢).

سؤال العافية بين السجدتين

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدتين:

«اللَّهُمَّ (وفي لفظ: رَبِّ) اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، [وَاجْبُرْنِي]، [وَارْفَعْنِي] وَعَافِنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي»(٣).

أدعية عافية غير مقيدة بوقت

عن علي رضي الله عنه قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ:

«اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي، حَتَّى تَجْعَلَهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي، وَعَافِنِي فِي دِينِي وَجَسَدِي، وَانْصُرْنِي مِمَّنْ ظَلَمَنِي، حَتَّى تُرِيَنِي فِيهِ ثَأْرِي، اللَّهُمَّ إِنِّي

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦)، وغيره.

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٢٧)، والترمذي (٣٥٦٦)، وغيرهما، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه أبو داود (٨٥٠)، واللفظ الثاني والزيادات لغيره، وحسنه الألباني، انظر «أصل صفة الصلاة» (ص ٨٠٩). ونقل قول النووي في «المجموع» (٤٣٧/٣): «فالاحتياط والاختيار أن يَجمع بين الروايات، ويأتي بجميع ألفاظها، وهي سبعة».

أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، وَخَلَّيْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ [بِنَبِيِّكَ] الَّذِي أَرْسَلْتَ، وَبِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ»[1].

قال الشوكاني[2]: «في الحديث سؤاله ﷺ أن يمتعه الله سبحانه وتعالى بسمعه وبصره، لأن مَنْ لا يسمع ولا يبصر لا يصفو له عيش، ولا تطيب له حياة، ومعنى جَعْلِهما الوارثَيْن منه: أن يموت وهما صحيحان سويان، فكأنهما ورثاه وبقيا بعده».

وعن شَكَلِ بن حُمَيْدٍ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، علِّمني دعاءً أَنتفعُ به. قال:

«قُلِ: اللَّهُمَّ عَافِنِي مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَلِسَانِي، وَقَلْبِي، وَشَرِّ مَنِيِّي». قال وكيع: (مَنِيِّي)؛ يعني: الزنا والفجور[3].

وعن طارق الأشجعي رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ وأتاه رجل فقال: يا رسول الله، كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال:

«قُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي» ـ ويَجْمَعُ أصابعَه إلا الإبهامَ ـ «فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ»[4].

وفي لفظ: كان الرجل إذا أسلم عَلَّمَهُ النبيُّ ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات:

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي».

---

(١) أخرجه الحاكم (٧٠٩/١) وغيره، وهو في «صحيح الجامع» (١٢٦٩).

(٢) «تحفة الذاكرين» (٤٣٢).

(٣) أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي، والبخاري في «الأدب» (٦٦٣)، وغيرهم، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه مسلم (٢٦٩٧) وغيره.

هذا، وقد تقدم التنبيه والتأكيد على ملازمة سؤال العافية ليل نهار، وأنها أفضل دعوة يدعوها العبد، وتقدم سؤال العافية في دعاء القنوت، وغير ذلك.

فسؤال العافية مندوب إليه في كل وقت، مؤكَّد عليه في كل حين، فليُكْثِرْ عبدٌ منه أو لِيُقِلَّ، فإنه إنما يسأل لنفسه، ويدعو لسعادتها، ويرغب إلى الله تعالى في راحتها وسلامتها، وهو مع هذا محتاج إلى العافية مع الأنفاس.

وكان عبد الأعلى التَّيمي يقول: أكثروا من سؤال الله العافية، فإن المُبتلَى وان اشتد بلاؤه ليس بأحق بالدعاء من المعافَى الذى لا يأمن البلاء، وما المبتلَوْن اليوم إلا من أهل العافية بالأمس، وما المبتلَوْن بعد اليوم إلا من أهل العافية اليوم[(١)].

الاستعاذة من الأسقام وغيرها

ومن الأدعية المتضمنة سؤال العافية مع شيء من التفصيل والتعداد لما يُسألُ اللهُ تعالى أن يعافيَ العبدَ ويعيذه منه، ما جاء في حديث أنسٍ رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَالْقَسْوَة، وَالْعَيْلَةِ، وَالذِّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَالْكُفْرِ، وَالشِّرْكِ، وَالنِّفَاقِ، وَالسُّمْعَةِ، وَالرِّيَاءِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ، وَالْبَكَمِ، وَالْجُنُون، وَالْبَرَصِ، وَالْجُذَامِ، وَسَيِّئِ الْأَسْقَامِ»[(٢)].

وحديث أبي اليَسَرِ رضي الله عنه، أن رسول ﷺ كان يدعو:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَرَقِ، وَالْحَرَقِ، وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ

---

(١) «عدة الصابرين» (ص ١٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٥٤)، والنسائي (٢٤٧٠)، كلاهما مختصرًا، وابن حبان (٢٤٤٦- موارد)، واللفظ له، وغيرهم، وصححه الألباني.

أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا»[١].

وباب الاستعاذة من الأسقام جملة وتفصيلًا، وطلب الشفاء منها، ونحوه، باب يطول الكلام فيه، والأدعية فيه كثيرة، فلتُنْظر في مظانّها من كتب الأدعية والأذكار[٢]، وكتب ما يسمى بعمل اليوم والليلة[٣].

دعاء المعافى

وإذا ما أتم الله عليك النعمة وأسبغها عليك فاستعذ بالله من زوالها، وإذا ما مَنَّ عليك بالعافية وألبسك ثوبها فاستعذ به جل ثناؤه من تغيرها وتَحَوُّلها.

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»[٤].

قال الشوكاني[٥]: «استعاذ ﷺ من تحول عافيته سبحانه، لأنه إذا كان قد اختصه الله سبحانه بعافيته فقد ظفر بخير الدارين، فإن تحولت عنه فقد أُصيب بشر الدارين، فإن العافية يكون بها صلاح أمور الدنيا والآخرة». اهـ.

واعلم يا طالب العافية من البلاء، وأيقن يا من تشفق على نفسك من الوباء، أن أعظم سببٍ لتَحَوُّل العافية أو رفعها عنك، هو المجاهرة بالمعاصي،

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٥٢) وغيره، وصححه الألباني.

(٢) وأجلها «كتاب النووي»، رحمه الله.

(٣) وأجودها «كتاب ابن السني»، رحمه الله.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٣٩).

(٥) «تحفة الذاكرين» (ص ٤٢١)، بحذف يسير.

كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»[١].

وفي «الفوائد» لابن القيم[٢]: «يا مُكْرَمًا بحُلة الإيمان بعد حُلة العافية، وهو يُخْلِقهما[٣] في مخالفة الخالق، لا تُنْكِرِ السَلَب، يستحق من استعمل نعمة المنعِم فيما يَكره أن يُسْلَبَها».

وفي «بدائع الفوائد»[٤]: «من نظر في أحوال أهل عصره، وما أزال الله عنهم من نعمه، وجد ذلك كله من سوء عواقب الذنوب، كما قيل:

إذا كنتَ في نعمةٍ فارْعَها ... فإنّ المعاصي تُزيلُ النِّعَمْ

فما حُفِظَتْ نعمةُ الله بشيء قَطُّ مثل طاعته، ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره، ولا زالت عن العبد بمثل معصيته لربه، فإنها نار النعم التي تعمل فيها كما تعمل النار في الحطب اليابس». اهـ.

وفي «الفوائد»[٥]: «قاعدة جليلة. قد فكرت في هذا الأمر، فإذا أصله أن تعلم أن النعم كلها من الله وحده، نعم الطاعات ونعم اللذات، فترغب إليه أن يلهمك ويوزعك شكرها، قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل:٥٣]، وقال: ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٦٩].

---

(١) متفق عليه.

(٢) (ص ٤٢-٤٣).

(٣) أي: يبليهما، أخلق فلانٌ ثوبَه: أبلاه، أي: لبسه حتى بَلِيَ.

(٤) (٢/٢٠٦)

(٥) (ص ١٩٨).

وقال: ﴿وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [النحل:١١٤]. وكما أن تلك النعم منه، ومن مجرد فضله، فذكرها وشكرها لا يُنال إلا بتوفيقه، والذنوب من خذلانه وتَخَلِّيه عن عبده، وتَخْلِيته بينه وبين نفسه، وإن لم يَكشف ذلك عن عبده فلا سبيل له إلى كشفه عن نفسه، فإذًا هو مضطر إلى التضرع والابتهال إليه أن تُدفع عنه أسبابُها حتى لا تصدر منه، وإذا وقعت بحكم المقادير ومقتضى البشرية فهو مضطر إلى التضرع والدعاء أن يدفع عنه موجباتها وعقوباتها، فلا ينفك العبد عن ضرورته إلى هذه الأصول الثلاثة، ولا فلاح له إلا بها: الشكر، وطلب العافية، والتوبة النصوح». اهـ.

التحذير من سؤال خلاف العافية

عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ عاد رَجُلًا من المسلمين قد خَفَتَ[١] فصار مِثْلَ الفَرْخِ، فقال له رسول الله ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟».

قال: نَعَمْ، كنتُ أقول: اللهـم ما كنتَ مُعَاقِبِي به في الآخرة فعَجِّلْهُ لي في الدنيا. فقال رسول الله ﷺ:

«سُبْحَانَ اللهِ! لَا تُطِيقُهُ ـ أو: لَا تَسْتَطِيعُهُ ـ أَفَلَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ [رَبَّنَا] آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ[٢]؟!».

قال: فدعا اللهَ له، فشفاه[٣].

وفي لفظ: أن النبي ﷺ عاد رَجُلًا قد جُهِدَ حتى صار مِثْلَ الفَرْخِ، فقال له: «أَمَا

---

(١) أي: ضَعُف وسكَن.

(٢) هذه الدعوة من أعظم الأدعية في سؤال العافية، كما هو ظاهر هذا الحديث، وهي أكثر دعوة كان يدعو بها النبي ﷺ، وقد تواتر هذا الدعاء عنه ﷺ كما تواتر عنه سؤال العافية في الدنيا والآخرة، كما تقدم (صفحة ١٠٧)، فليُتنبه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٨٨)، والترمذي (٣٤٨٧)، باللفظ الثاني، وغيرهما. والزيادة للنسائي في «الكبرى» (٧٤٦٤ و١٠٨٢٥)، بإسناد صحيح.

كُنْتَ تَدْعُو؟! أَمَا كُنْتَ تَسْأَلُ رَبَّكَ الْعَافِيَةَ؟!» قال: كنت أقول: اللهـم ما كنت مُعَاقِبِي به في الآخرة فعَجِّلْهُ لي في الدنيا. إلخ.

وعنه رضي الله عنه، أن النبي ﷺ مر بقوم مُبْتَلَيْنَ، فقال:

«أَمَا كَانَ هَؤُلاءِ يَسْأَلُونَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ؟!»[١].

قال في «تحفة الذاكرين»[٢]: «وفي الحديث دليل على أن سؤال الله سبحانه وتعالى العافية يدفع كل بلية، ويرفع كل محنة، ولهذا جاء ﷺ بهذا الاستفهام بمعنى الاستنكار، فكأنه قال لهم: كيف تتركون أنفسكم في هذه المحنة والابتلاء، وأنتم تجدون الدواء الحاسم لها، والمرهم الشافي لما أصابكم منها، وهو الدعاء بالعافية، واستدفاع هذه المحنة النازلة بكم بهذه الدعوة الكافية؟! وفي هذا ما يزيد النفوس نشاطًا، والقلوب بصيرة، باستعمال هذا الدواء، عند عروض كل داء، ومِساس كل محنة، ونزول كل بلية». اهـ.

وأنشد الشيخ أبو إسحاق الشيرازي[٣]:

رأيـتُ البَـلاء كقَطْـر السَّـماء ... وما تُنْبِتُ الأرضُ مـن ناميـهْ

فــلا تَســألنَّ إذا مــا ســألتَ ... إلهـك شـيئًا سـوى العافيـهْ

○○○○○

(١) أخرجه البزار (٣١٣٤ – كشف الأستار)، وغيره، وهو في «السلسلة الصحيحة» (٢١٩٧).

(٢) (ص ٤٦١).

(٣) «الازدهار» للسيوطي (ص ١٦). وهو من قول منصور الفقيه، كما في «بهجة المجالس» (٣٨٤/١).

الذكر الكثير

وبالجملة، فإن الإكثار من ذكر الله تعالى والتحصن به، هو أعظم أسباب التخلص من هذا الوباء(١)، فالذكر سلاح صاحبه ودرعه وحصنه في هذه المعركة، فلينظر ما يصحبه منه فيها! إذ بحسب كثرة ذكره، وحضور قلبه فيه، وقبوله له، وإقباله عليه، ويقينه، وثباته، يكن نصيبه من النصر والظفر.

والذكر الكثير يكون بالمحافظة على الصلوات المفروضة، وما يجبرها ويتبعها من السنن الرواتب والأذكار، ويكون بتعاهد ورد تلاوة القرآن الكريم، والمواظبة على أذكار النوم والاستيقاظ، وأذكار الصباح والمساء.

وأقل ذلك ما ذكرناه في هذا الكتاب، مما له صلة مباشرة بموضوعنا (كورونا)، وما لا يدرك جله لا يترك كله.

وأيضًا، بالمحافظة على الأذكار العارضة بحسب الأحوال والمناسبات، كأذكار الطعام والشراب، والخروج من البيت ودخوله، وغيرها، كما تقدم التنبيه عليه.

فإذا التزم الذاكر بهذا كان من الذاكرين الله كثيرًا، وعندها يكون قد دخل في حصن الذكر الحصين، فلا يصيبه شر، ولا يصل إليه مكروه.

وإذا ما دعا الله تعالى استجاب له، ولم يَردّه خائبًا، وحقق له رجاءه، وعافاه وشفاه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«ثَلَاثَةٌ لَا يَرُدُّ اللهُ دُعَاءَهُمُ: الذَّاكِرُ اللهَ كَثِيرًا، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَالْإِمَامُ الْمُقْسِطُ»(٢).

وفي لفظ: «الذَّاكِرُون اللهَ كَثِيرًا».

ثم أقول: ولعل ضبطَ أتمِّ حالٍ للذاكر الله كثيرًا أن يقال: هو أن يكون

---

(١) دون إغفال الأسباب المادية في الوقاية، كما نبهنا في المقدمة.

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٨٢ و٦٩٧٣) وغيره، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٢١١ و٣٣٧٤).

لسانه رطبًا من ذكر الله، وقلبه حاضرًا مع الله، كما في حديث عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه، أن رجلًا قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به. قال:

«لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ»[1].

وعن الحارث الأشعري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال:

«إِنَّ اللهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا» الحديث. وفيه:

«وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ الْعَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا، حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ، فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ الْعَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللهِ»[2].

والشاهد من الحديث: أن الذاكر في حصن حصين.

وسئل ابن الصلاح: ما هو مقدار الذكر الذي يصير به المؤمن من الذاكرين الله كثيرًا؟

فأجاب: «إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحًا ومساءً، وفي الأوقات والأحوال المختلفة في ليل العبد ونهاره، وهي مُبيَّنة في كتاب «عمل اليوم والليلة»، كان من الذاكرين الله تبارك وتعالى كثيرًا»[3].

وقال ابن الجَزَري[4]: «والمواظب على الأذكار المأثورة صباحًا ومساءً، وفي الأحوال المختلفة، هو من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات».

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧٥) وغيره، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٦٣ و٢٨٦٤) وغيره، وصححه الألباني.

(٣) «فتاوى ابن الصلاح» (١/٥٠).

(٤) «عدة الحصن الحصين» (ص ١٧).

الحث على الذكر الكثير

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال سبحانه وتعالى بعدها: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٣٥].

ثم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ {الأحزاب:٤١-٤٣].

وكلها في سورة الأحزاب!

وقوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، قال ابن كثير: «أي: بسبب رحمته بكم وثنائه عليكم، ودعاء ملائكته لكم، يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين.

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾؛ أي: في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا: فإنه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم، وبصّرهم الطريق الذي ضل عنه وحاد عنه من سواهم من الدعاة إلى الكفر أو البدعة وأشياعهم من الطغام، وأما رحمته بهم في الآخرة: فآمنهم من الفزع الأكبر، وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار، وما ذاك إلا لمحبته لهم ورأفته بهم».

قلت: فمن كان من أهل الذكر الكثير استحق من الله الثناء وشملته الرحمته، وأخرجه الله من الظلمات إلى النور، ويدخل في هذا الخروجُ من كل الشرور والآفات والمضائق في الدنيا والآخرة.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة:٢٠٠].

قال القاسمي[١]: «أي: فأكثروا ذكر الله، وابذلوا جهدكم في الثناء عليه وشرح آلائه ونعمائه، كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم بعد قضاء مناسككم».

وقال ابن القيم[٢]: «ففيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة، لشدة حاجة العبد إليه وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله». اهـ.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥].

قال القاسمي[٣]: «في الآية إشعار بأن على العبد ألا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبًا، وأكثر ما يكون همًّا، وأن يلتجئ إليه عند الشدائد، ويقبل إليه بكليته، فارغ البال، واثقًا بأن لطفه لا ينفك عنه في حال من الأحوال». اهـ.

أهم الأذكار

وأهم الأذكار وأشهرها وأعظمها هو: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وما اشتمل عليها وما تركب منها.

وأما ما ورد في فضائلها ومنافعها فإنه يصعب استيعابه، فمنه: أن الله عز

---

(١) «محاسن التأويل» (٧١/٨).

(٢) «الوابل الصيب» (ص ٣٩).

(٣) «محاسن التأويل» (٧١/٨).

وجل قد اصطفاها على سائر الكلام، وكانت أحبه إليه، وأحب إلى رسوله ﷺ مما طلعت عليه الشمس، وهي الباقيات الصالحات، وغراس الجنات، وهي تجزئ عن القرآن لمن لا يستطيع الأخذ منه.

ومن أراد الاطلاع على جملة مباركة من فضائلها، فقد أودعتها في كتابي «الأذكار المضاعفة».

ومن ذلك: أن الدعاء بعد ذكرها مستجاب، فعن أنس رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، عَلِّمْني خيرًا، فأخذ النبي ﷺ بيده فقال:

«قُلْ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ».

قال: فعَقَدَ الأعرابي على يده ومضى، فتفكر ثم رجع، فتبسم النبي ﷺ، قال: «تَفَكَّرَ الْبَائِسُ». فجاء فقال: يا رسول الله، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هذا لله، فما لي؟ فقال له ﷺ:

«يَا أَعْرَابِيُّ، إِذَا قُلْتَ: سُبْحَانَ اللهِ، قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ. وَإِذَا قُلْتَ: الْحَمْدُ للهِ، قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ. وَإِذَا قُلْتَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ. وَإِذَا قُلْتَ: اللهُ أَكْبَرُ. قَالَ اللهُ: صَدَقْتَ.

وَإِذَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، قَالَ اللهُ: فَعَلْتُ. وَإِذَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، قَالَ اللهُ: فَعَلْتُ. وَإِذَا قُلْتَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي، قَالَ اللهُ: قَدْ فَعَلْتُ». قال: فعَقَدَ الأعرابي على سبعٍ في يده، ثم وَلَّى(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن أُمَّ سُلَيْمٍ، غَدَتْ على النبي ﷺ، فقالت: عَلِّمْنِي كلمات أقولهن في صلاتي. فقال:

«كَبِّرِي اللهَ عَشْرًا، وَسَبِّحِي اللهَ عَشْرًا، وَاحْمَدِيهِ عَشْرًا، ثُمَّ سَلِي مَا شِئْتِ

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦١٠). وهو في «الصحيحة» (٣٣٣٦).

يَقُولُ[1]: نَعَمْ نَعَمْ»[2].

ومن ذلك: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»[3].

وعن أنسِ بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ مر بشجرة يابسة الورق، فضربها بعصاه فتناثر الورق، فقال:

«إِنَّ الحَمْدُ للهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لَتُسَاقِطُ مِنْ ذُنُوبِ العَبْدِ كَمَا تَسَاقَطَ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ»[4].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَا عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[5].

ومن تساقطت ذنوبه، وكُفِّرت خطاياه، فقد سلم من كل سوء ومكروه، واندفعت عنه الشرور والآفات، فإن كل مصيبة وشر فإنما سببه الذنوب والخطايا.

ومن ذلك: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال:

«أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ»[6].

وعنه رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«أَلَا أُعَلِّمُكَ (أو قال: أَلَا أَدُلُّكَ) عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ مِنْ كَنْزِ الجَنَّةِ؟

---

(١) وعند النسائي (١٢٩٩): «يَقُلْ».

(٢) أخرجه الترمذي (٤٨١) وغيره، وحسن الألباني.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٥) وغيره.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٥٣٣) وغيره، وحسنه الألباني.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٤٦٠) وغيره، وحسنه الألباني.

(٦) أخرجه أحمد (٢/٣٣٣). وهو في «الصحيحة» (٤/٣٣).

تَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ»[١].

قال النووي[٢]: «قوله ﷺ: لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة، قال العلماء: سبب ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى، واعتراف بالإذعان له، وأنه لا صانع غيره، ولا راد لأمره، وأن العبد لا يملك شيئًا من الأمر، ومعنى الكنز هنا: أنه ثواب مُدَّخر في الجنة، وهو ثواب نفيس، كما أن الكنز أنفس أموالكم[٣]».

وقال ابن القيم[٤]: «لما كان الكنز هو المال النفيس المجتمع الذي يخفى على أكثر الناس، وكان هذا شأن هذه الكلمة، كانت كنزًا من كنوز الجنة، فأُوتيها النبي ﷺ من كنز تحت العرش، وكان قائلها أسلم واستسلم لمن أَزِمَّة الأمور بيديه، وفوض أمره إليه».

وعن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما، أن أباه دفعه إلى النبي ﷺ يخدمه، قال: فمر بي النبي ﷺ وقد صليت، فضربني برجله، وقال:

«أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؟» قلت: بلى؟ قال: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»[٥].

قال ابن القيم[٦]: «هذه الكلمة لها تأثير عجيب في معالجة الأشغال الصعبة، وتحمُّل المشاقِّ، والدخول على الملوك، ومَنْ يُخاف، وركوب الأهوال».

وقال شيخ الإسلام[٧]: «بها تُحمل الأثقال، وتُكابَد الأهوال، ويُنال رفيع

---

(١) أخرجه الحاكم (٢١/١). وهو في «صحيح الجامع» (٢٦١١).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٢٦/١٧).

(٣) وقد صرح الحديث المتقدم بأن النبي ﷺ أُوتيها من تحت العرش من كنز الجنة، فينبغي حمله على ظاهره.

(٤) «شفاء العليل» (ص ١١٢).

(٥) أخرجه الترمذي (٣٥٨١)، وصححه الألباني.

(٦) «الوابل الصيب» (ص ٩٨).

(٧) «مجموع الفتاوى» (١٣٧/١٠).

الأحوال».

قلت: فلا حول ولا قوة إلا بالله، هي كلمة الاستعانة العظمى، وهي من أنسب الأذكار في موضوعنا الذي نتكلم فيه، فليلزمها الذاكر ما استطاع، وليكثر منها بقدر الطاقة، بالليل والنهار، والعشي والإبكار، وليجعلها هِجِّيراه وديدنه ، عسى الله أن يدفع بها البلاء، ويرفع عنا الوباء، وقد كثرت الأحاديث في فضلها، والأمر بها، والإكثار من قولها، وهي مشهورة مبثوثة في كتب الأذكار.

التسبيح لرفع البلاء والوباء

قال الله تعالى عن نبيه يونس عليه الصلاة والسلام: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۞ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[الصافات:١٤٣-١٤٤].

وتقدم الكلام على دعوته عليه الصلاة والسلام في «أدعية الكرب».

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۞ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۞ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۞ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ [القلم:١٧-٢٨].

فالتسبيح ينجي من الغم، ويخرج من الضيق، ويكشف الكرب، ويمنع وقوع الجائحة والبلاء، ويقي من الحرمان.

قال الشافعي رحمه الله: لم أر أنفع للوباء من التسبيح(١).

الصلاة

وأفضل الذكر وأجله: الصلاة، إذ أنها مشتملة على كل أنواع الذكر، من تلاوة ودعاء وتهليل وتحميد وتكبير وتسبيح، وسائر أنواع الذكر، إضافة إلى ما فيها من أنواع العبادة، من القنوت والخشوع، والتبتل والخضوع، وغير ذلك،

---

(١) «حلية الأولياء» (١٣٦/٩).

فهي إذًا أعظم ما يتقرب به المؤمن إلى الله تعالى في دفع البلاء، وأهم ما يتوسل به إليه في رفع الوباء.

قال ابن القيم[1]: «ولما كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء، وهي جامعة لأجزاء العبودية على أتم الوجوه، كانت أفضل من كل من القراءة والذكر والدعاء بمفرده، لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء».

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا حَزَبَهُ[2] أمرٌ صلى[3].

قال ابن القيم[4]: «وأما الصلاة فشأنها في تفريح القلب وتقويته وشرحه وابتهاجه ولذته أكبر شأن، وفيها من اتصال القلب والروح بالله، وقربه والتنعم بذكره، والابتهاج بمناجاته، والوقوف بين يديه، واستعمال جميع البدن وقُواه وآلاته في عبوديته، وإعطاء كل عضو حظه منها، واشتغاله عن التعلق بالخلق وملابستهم ومحاورتهم، وانجذاب قُوى قلبه وجوارحه إلى ربه وفاطره، وراحته من عدوه حالة الصلاة، ما صارت به من أكبر الأدوية والمفرحات والأغذية التي لا تلائم إلا القلوب الصحيحة، وأما القلوب العليلة فهي كالأبدان لا تناسبها الأغذية الفاضلة.

فالصلاة من أكبر العون على تحصيل مصالح الدنيا والآخرة، ودفع مفاسد الدنيا والآخرة، وهي منهاة عن الإثم، ودافعة لأدواء القلوب، ومطردة للداء عن الجسد، ومُنورة للقلب، ومُبيضة للوجه، ومُنشطة للجوارح والنفس، وجالبة للرزق، ودافعة للظلم، وناصرة للمظلوم، وقامعة لأخلاط الشهوات، وحافظة

---

(١) «الوابل الصيب» (ص ١١٩).

(٢) (حزبه أمر)؛ أي: نزل به مهمٌّ أو أصابه غمٌّ. «نهاية».

(٣) أخرجه أبو داود (١٣١٩) وغيره، وحسنه الألباني.

(٤) «زاد المعاد» (٢٠٩/٤).

للنعمة، ودافعة للنقمة، ومُنزلة للرحمة، وكاشفة للغُمّة».

وقال ابن سعدي[1]: «روح الصلاة ومقصودها الأعظم حضور القلب بين يدي الله، ومناجاته بكلامه وذكره، والثناء عليه ودعائه، والتضرع إليه وطلب القربة عنده ورجاء ثوابه، وذلك بلا ريب ينير القلب، ويشرح الصدر، ويفرح النفس والروح، ويذهب الهم والغم».

معاتبة النفس على التقصير في الذكر التلاوة

يا نفس، أين ذكرك لله تبارك وتعالى؟! أين ذكرك لربك ومليكك عز وجل؟! أين ذكرك لمولاك المنعم المتفضل عليك؟!

يا نفس، أين وردك من القرآن الكريم والأذكار؟!

يا نفس، إياك أن تشابهي قومًا نسوا الله فنسيهم وأنساهم أنفسهم، فأهملوا مصالحها ومنافعها، جزاء وفاقًا، كما قال سبحانه:

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [الحشر:١٩].

يا نفس، إياك أن تطول بك الغفلة، ويستمر بك البعد، وترضَي بهذه الحال، فيسيطر عليك الشيطان، فلا تجدي منه فِكاكًا، ولا عن شره مصرفًا، كما قال الله تبارك وتعالى:

﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ [المجادلة:١٩].

فالتزمي وردك من التلاوة، ولا تتركيه يومًا واحدًا، فإن ذلك يجلب لك الخير والبركة في وقتك وقولك وعملك، وإياك أن تنشغلي عنه بأعمالك مهما كانت،

(١) «الرياض الناضرة» (ص ١٧) بتصرف يسير.

ولو كانت في ظاهرها أعمالًا دينية، فضلًا عن الأعمال الدنيوية!

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر:٢٩].

فكيف تفوتك يا نفس هذه الأرباح وأنت أنت في حرصك على الدنيا ومتاعها الفاني، وحرصك على جمع المال، وحذقك في التجارة؟!

واحذري يا نفس أن تكوني في القوم الذين شكاهم النبي ﷺ إلى ربه، وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾ [الفرقان:٣٠].

فلا تهجري يا نفس كتاب ربك، ولا تعرضي عنه، واختاري راحة قلبك وطُمَأنينته، وسعادتك في الدنيا والآخرة، وإلا فهو الهم والغم والضنك والظلمة والعمى والوحشة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤].

فإياك إياك يا نفس والإعراض عن كتاب ربك وهجره، إياك والإعراض عن الاستشفاء به لأدوائك وأدواء أمتك، وإياك وهجر سماعه وتلاوته، وتدبره وتعلمه، وإياك وهجر العمل به وتحكيمه في جميع أمور دينك ودنياك.

○○○○○

الاستغفار

الاستغفار

اعلم أن كل شر في العالم، وكل مصيبة وبلاء، وكل فساد ووباء، سواء كان في البر أو في البحر أو في الهواء، فإنما هو بسبب الذنوب والمعاصي، من شرك وكفر وما دونه.

قال الله عز وجل: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم:٤١].

أي: بان في كل الأماكن وانتشر وبدا للعيان الخرابُ والنقص في المعايش والأموال والأنفس والثمرات والأبدان، من الأمراض والغلاء والوباء، والقتل والزلازل والبراكين والحرائق والأعاصير، وسائر المصائب والآفات، بما كسبت أيدي الناس من الكفر والشرك والظلم والمعاصي، وتعدي بني آدم على الإنسان والحيوان والنبات، بالحروب المدمرة التي تحرق الأخضر واليابس، وغيرها، وبمخالفتهم لما أمرهم به من الديانة القويمة، وما جبلهم عليه من الفطرة السليمة، حتى بلغ بهم الأمر إلى قلبها، كما يفعل المثليون والمتحولون وغيرهم، وبما كسبت أيديهم من الرذيلة والفسق والعصيان، إلى درجة تُنافي الإنسانية، بل وتعدت البهيمية، فضلًا عن منافاتها للدين والشريعة والخلق.

فهذا الذي ظهر من العقوبات، ليذيقهم الله عز وجل بعض جزاء أعمالهم، وما كسبته أيديهم، لا ليفنيهم ويزيلهم ويستأصلهم، بل هو لعلهم يَتركوا ما هم فيه من المخالفات، ويرجعوا إلى ربهم البر الرحيم، رب الأرض والسموات، ويستقيموا على دينه القويم، وصراط المستقيم، الذي فيه نجاتهم وكرامتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

وهذا الذي عاقبهم به سبحانه ما هو إلا إذاقة لبعض ما عملوا! فكيف لو

آخذهم به كله؟! إذًا لما ترك على ظهرها من دابة! ولكنه سبحانه وتعالى غفور رحيم، وحليم كريم، وقد جعل لذلك أجلًا مسمًّى، تبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إله غيره.

هذا، ولا ينكر عاقل أن الفساد المنتشر في الأرض من المعاصي والآثام ومخالفات الفطرة السليمة لا يكاد يحصى، خصوصًا في البلاد الشيوعية المنكرة لوجود الله تعالى، والمنحلة من الدين والشرائع، فانظر على سبيل المثال، في أول بقعة انتشر فيها الفيروس، إلى الوحشية الفظيعة جدًّا التي يعامِلون بها الحيوان، من تعذيب وتأليم تقشعر منه الأبدان، ثم يأكلونه بقذارته ونتْنه وخُبثه، وقد يأكلونه حيًّا، فضلًا عن كونه لا يؤكل أصلًا، لا في شريعة إسلام، ولا في طبيعة إنسان.

هذا مثال واحد في مجال واحد، وأما تعاملهم مع الإنسان خصوصًا إذا كان مخالفًا لهم فيما هم فيه من دين وقومية وسوء أخلاق ونجاسة أبدان، وخصوصًا إذا كان مسلمًا طاهرًا، إذا كان كذلك، فحَدِّثْ ولا حرج فيما يكيلونه له من عذاب ونكال وهوان. والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه.

وليس كتاب الأذكار هذا مكان استطراد في هذا الموضوع، ولكن لزمَنا التنبيه، واضطررنا إليه، لمناسبة ذكر الآية الكريمة.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠].

قال ابن القيم[١]: «فإذا أصاب [العبدَ] ما أصابه من المكروه فلا يُقال: أنّى هذا، ولا من أين أُتِيتُ، ولا بأي ذنب أُصِبْتُ؟! فما أصاب العبدَ من مصيبة قطّ، دقيقة ولا جليلة، إلا بما كسبت يداه، وما يعفو الله عنه أكثر، وما نزل بلاء قطّ إلا بذنب، ولا رُفِع بلاء إلا بتوبة، ولهذا وضع الله المصائب والبلايا

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/٨٢٦ - طبعة بكر أبو زيد).

والمحن رحمة بين عباده، يكفِّر بها من خطاياهم، فهي من أعظم نعمه عليهم وإن كرهتها أنفسهم، ولا يدري العبد أي النعمتين عليه أعظم، نعمته عليه فيما يكره، أو نعمته عليه فيما يحب، وما يصيب المؤمن من هم ولا وَصَب ولا أذًى، حتى الشوكة يُشاكُها، إلا كفر الله بها من خطاياه[1]، وإذا كان للذنوب عقوبات، ولا بد، فكل ما عوقب به العبد من ذلك قبل الموت خير له مما بعده وأيسر وأسهل بكثير». اهـ.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ * فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ * ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ * وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ * فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ [سبأ:١٥-١٩].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال:

«يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ:

لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا.

وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ.

---

(١) تقدم هذا بنحوه من كلام النبي ﷺ، في حديث متفق عليه، انظر تمهيد الكتاب.

وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا.

وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ.

وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»[(١)].

وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ قَطُّ إِلَّا كَانَ الْقَتْلُ بَيْنَهُمْ، وَلَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ، وَلَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلَّا حَبَسَ اللَّهُ عَنْهُمُ الْقَطْرَ»[(٢)].

قال ابن القيم[(٣)]: «ومن له معرفة بأحوال العالم ومبدئه يعرف أن جميع الفساد في جوه ونباته وحيوانه وأحوال أهله، حادث بعد خلقه بأسباب اقتضت حدوثه، ولم تزل أعمال بني آدم ومخالفتهم للرسل تُحدث لهم من الفساد العام والخاص، ما يجلب عليهم من الآلام والأمراض والأسقام والطواعين، والقحوط والجدوب، وسلب بركات الأرض وثمارها ونباتها، وسلب منافعها أو نقصانها، أمورًا متتابعة يتلو بعضها بعضًا.

فإن لم يتسع علمك لهذا فاكتف بقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١]. ونزّل هذه الآية على أحوال العالم، وطابق بين الواقع وبينها، وأنت ترى كيف تحدث الآفات والعلل كل وقت في الثمار والزرع والحيوان، وكيف يحدث من تلك الآفات آفات أُخَر متلازمة، بعضها آخذ برقاب بعض، وكلما أحدث الناس ظلمًا وفجورًا، أحدث لهم ربهم تبارك وتعالى من الآفات والعلل في

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩) وغيره، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه الحاكم (١٣٦/٢) وغيره، وهو في «صحيح الترغيب» (٢٤١٨).

(٣) «زاد المعاد» (٣٣٢/٤).

أغذيتهم وفواكههم، وأهويتهم ومياههم، وأبدانهم وخلقهم، وصورهم وأشكالهم وأخلاقهم، من النقص والآفات ما هو موجَب أعمالهم وظلمهم وفجورهم». اهـ.

قلت: فلما كان الأمر كما تقدم ظهر شأن الاستغفار، وبانت حاجة العباد وضرورتهم إليه، وعلم العاقل أنه هو طريق الخلاص من شرور الذنوب وعقوباتها، وآثارها وعواقبها[1].

قال ابن القيم[2]: «ليس في الوجود شر إلا الذنوب وموجباتها، فإذا عوفي من الذنوب عوفي من موجباتها، فيتولى هو التوبة وإصلاح عيوبه، والله يتولى نصرته وحفظه والدفع عنه ولا بد». اهـ.

قلت: وقولك «أستغفر الله» معناه: أطلب من الله المغفرة، بمعنى: اللهم امحُ لي ذنوبي، واستر لي عيوبي، وتجاوز عن سيئاتي، وأقلني عثراتي.

والله سبحانه غفور رحيم، فإذا طلب العبد منه ذلك غفر له إن شاء واستجاب دعاءه.

وإذا أكثر من الاستغفار وألَحّ فيه تعرض أكثر للإجابة.

أما إذا تاب، فأقلع عن الذنب وتركه، وندم عليه، ونوى أن لا يرجع إليه أبدًا، وصدق في ذلك، فإن الله تعالى يقبل منه، ويغفر له، «فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»، و«النَّدَمُ تَوْبَةٌ»، و«التَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»، كما جاء في الأحاديث.

وعندها لو قال: أستغفر الله، فإن الله سيغفر له يقينًا، وعدًا منه سبحانه وتعالى، لأن العبد في هذه الحال قد صدق في طلبه، وأتى بأعظم أسباب المغفرة، وهو التوبة.

---

(١) كما سيأتي بعد قليل.

(٢) انظر «بدائع الفوائد» (٢/٢٤٢).

فبشراه ثوابُ التائبين وأجورهم، وثمار التوبة ومنافعها وفوائدها، كما قال الله تعالى حاكيًا عن نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:١٠-١٢].

قال ابن سعدي: «﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ عن ما صدر منكم من الذنوب، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ فيما تستقبلون من أعماركم، بالرجوع إليه بالإنابة، والرجوع عما يكرهه الله إلى ما يحبه ويرضاه.

ثم ذكر ما يترتب على الاستغفار والتوبة فقال: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾؛ أي: يعطكم من رزقه ما تتمتعون به وتنتفعون. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أي: إلى وقت وفاتكم. ﴿وَيُؤْتِ﴾ منكم ﴿كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾؛ أي: يعط أهل الإحسان والبر من فضله وبره ما هو جزاء لإحسانهم، من حصول ما يحبون، ودفع ما يكرهون». اهـ.

وقال سبحانه حاكيًا عن هود عليه الصلاة والسلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود:٥٢].

وعن عبد الله بن بُسْرٍ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:
«طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»(١).

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه، أن رسول الله [ﷺ] قال:
«مَنْ أَحَبَّ أَنْ تُسِرَّهُ صَحِيفَتُهُ فَلْيُكْثِرْ فِيهَا مِنَ الْاسْتِغْفَارِ»(٢).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨١٨) وغيره، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الضياء في «المختارة» (٨٩٢) وغيره. وهو في «الصحيحة» (٢٢٩٩).

«إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ، لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ. فَقَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي»[١].

وعن أبي سعيد [القطان] قال: سمعت الحسن يقول: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، [و]أينما كنتم، فإنكم [لا] تدرون متى تنزل المغفرة[٢].

وقال ابن رجب[٣]: «قال لقمان لابنه: يا بني عَوِّدْ لسانك الاستغفار فإن لله ساعات لا يَرُدّ فيهن سائلًا».

وشُرِع الاستغفار ونُدِب إليه بعد الصلوات المكتوبات، وبعد قيام الليل، وبعد الإفاضة من عرفات، وفي كل الساعات والأوقات.

استغفار السحر

وأعظم وقت للاستغفار هو السحر، فقد خصه الله تبارك وتعالى بالذكر وأثنى على أهله.

فيا أيها العبد الفقير إلى الله تعالى، المحتاج إليه، وقد أصابك الكرب، وألَمّ بك الخَطْب، وأهمك الوباء، وأحاط بك البلاء، إن لم تكن مع المتهجدين في صلاتهم واستغاثتهم ودعائهم، فلا أقل من أن تكون معهم في استغفارهم!

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۞ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۞ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات:١٥-١٩].

---

(١) أخرجه الحاكم (٧٦٧٢) وغيره. وهو في «الصحيحة» (١٠٤).

(٢) انظر «التوبة» لابن أبي الدنيا (١٥٨)، و«شعب الإيمان» (٦٤٧).

(٣) «لطائف المعا ف» (ص ٢١٤).

وقال سبحانه: ﴿ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران:١٧].

قال الحسن: مَدُّوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا يستغفرون ربهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟! وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟! وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟!»[١].

وعن أبي أمامة، رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله: أي الدعاء أسمع؟ قال: «جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ»[٢].

وعن عمرو بن عَبَسَةَ رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يقول:

«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ»[٣].

التوبة النصوح

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم:٨].

قال ابن القيم[٤]: «النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء:

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٤٩٩) وغيره، وصححه الألباني

(٣) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي (٣٥٧٩) وغيره، وصححه الألباني. وأصله في «صحيح مسلم».

(٤) «مدارج السالكين» (٣١١/١).

الأول: تعميم جميع الذنوب واستغراقها بها بحيث لا تدع ذنبًا إلا تناولته.

والثاني: إجماع العزم والصدق بكليته عليها، بحيث لا يبقى عنده تردد، ولا تلوّم ولا انتظار، بل يجمع عليها كل إرادته وعزيمته مبادرًا بها.

الثالث: تخليصها من الشوائب والعلل القادحة في إخلاصها، ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته، والرغبة فيما لديه، والرهبة مما عنده، لا كمن يتوب لحفظ جاهه وحرمته، ومنصبه ورياسته، ولحفظ حاله، أو لحفظ قوته وماله، أو استدعاءَ حمد الناس، أو الهرب من ذمهم، أو لئلا يتسلط عليه السفهاء، أو لقضاء نهمته من الدنيا، أو لإفلاسه وعجزه، ونحو ذلك من العلل التي تقدح في صحتها وخلوصها لله عز وجل». اهـ.

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور:٣١].

وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١].

فعجِّل عبد الله بفعل ما أُمرت به من الطاعات، من صلاة وزكاة وصيام، وبر والدَين وصلة أرحام، وأداء أمانات وعدل وإحسان، وسائر ما أُمرت به، وعجِّل بترك المعاصي والآثام، ولا تؤخر التوبة، ولا تظلم نفسك بذلك، ولا تحرمها ثواب التائبين، ولا توقعها بورطات المذنبين، ولا تعرضها لهلَكَات العاصين.

وأبشر ما دمت قد تبت إلى ربك وأنبت، بالفرح والسرور، وقرة العين وتيسير الأمور، واستعد لتنزّل الرحمات والبركات، وارتفاع البلاء والوباء والعقوبات.

صيغ استغفار عظيمة

وأعظم ما ورد في الاستغفار: ما في حديث شداد بن أوسٍ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ [قال له:

«أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى] سَيِّدِ الاسْتِغْفَارِ؟ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ،

خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ[١] لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ». قال:

«وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ (وفي رواية: حِينَ يُمْسِي)، وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[٢].

قال شيخ الإسلام[٣]: «قوله: (أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي): اعتراف بإنعام الرب وذنب العبد، كما قال بعض السلف: إني أصبح بين نعمة تنزل من الله علي، وبين ذنب يصعد مني إلى الله، فأريد أن أحْدِث للنعمة شكرًا، وللذنب استغفارًا». اهـ.

وأشهر ما ورد فيه: ما في حديث زيد مولى النبي ﷺ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ»[٤].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إنْ كنا لَنَعُدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مِائة مرة:

«رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»[٥].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: صلى رسول الله ﷺ الضحى، ثم قال:

---

(١) أبوء: أُقِرّ وأعترف. «منذري».

(٢) أخرجه البخاري (٥٨٣١ و٥٨٤٨)، والترمذي (٣٣٩٣)، والزيادة له، والنسائي (٥٥٢٣)، وغيرهم.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٧٣/٨).

(٤) أخرجه أبو داود (١٥١٧) وغيره، وصححه الألباني.

(٥) أخرجه أبو داود (١٥١٦) وغيره، وصححه الألباني.

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»، حتى قالها مئة مرة[1].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: جاء رسول الله ﷺ ونحن جلوس فقال:

«مَا أَصْبَحْتُ غَدَاةً قَطُّ إِلَّا اسْتَغْفَرْتُ اللهَ فِيهَا مِئَةَ مَرَّةٍ»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»[3].

ومن صيغ الاستغفار الجامعة: ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه كان يدعو بهذا الدعاء:

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[4].

ومما علمه ﷺ للصديق الأكبر: ما ورد أنه رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي. قال:

«قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَ[إِنَّهُ] لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ»[5].

ooooo

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (رقم ٦١٩)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٤٤١) وغيره، وصححه الألباني تحت الحديث (٤٤١٠) من «الضعيفة»، وانظر ـ إن شئت ـ «السلسلة الصحيحة» (١٦٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) وغيره.

(٤) متفق عليه.

(٥) متفق عليه، والزيادة للطبراني في «الدعاء» (٦١٧).

أسباب رفع الوباء

غير الذكر والدعاء

الإيمان بالله

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧].

قال ابن كثير: «الحياة الطيبة تشتمل وجوه الراحة من أي جهة كانت».

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج:٣٨].

قال ابن القيم(١): «أي: يدفع عنهم شرور الدنيا والآخرة».

وقال ابن سعدي(٢): «هذا إخبار ووعد وبشارة من الله للذين آمنوا أن يدفع عنهم كل مكروه، ويدفع عنهم بسبب إيمانهم كل شر من شرور الكفار، وشرور وسوسة الشيطان، وشرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم، ويحمل عنهم عند نزول المكاره ما لا يتحملونه، فيخفف عنهم غاية التخفيف، كل مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه، فمستقِلّ ومستكثر».

وتقدم عند دعوة نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام بيان معنى قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٨]، وأن المؤمن إذا أصابه كرب وغم، فدعا ربه تعالى مخلصًا، كشف الله عنه ضره لإيمانه.

التوحيد

ويدخل في الإيمان بالله توحيده تعالى بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

قال ابن سعدي في «القول السديد»: «التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوباتهما».

---

(١) «الجواب الكافي» (ص ٨٣).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (٣/٣٢٣).

قلت: والمتأمل في أدعية الكرب والهم والغم يجد غالبها قد اشتمل على التوحيد (لفظا أو معنى)، فدعاء الكرب ـ مثلًا ـ تكررت فيه كلمة التوحيد «لا إلٰه إلا الله» ثلاث مرات.

قال ابن القيم[1]: «فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد، فلا يُلْقي في الكُرَب العظام إلا الشرك، ولا ينجي منها إلا التوحيد، فهو مَفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها».

وقال[2]: «فالتوحيد ملجأ الطالبين، ومَفزع الهاربين، ونجاة المكروبين، وغياث الملهوفين، وحقيقته: إفراد الرب سبحانه بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل والخضوع».

وقال[3]: «التوحيد يفتح للعبد باب الخير والسرور واللذة والفرح والابتهاج».

التقوى

ومن ذلك : تقوى الله تعالى، بأن يجعل العبد بينه وبين عقاب الله عز وجل وسخطه وقاية تقيه، هي فعل الأوامر وترك النواهي، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق:٢].

قال ابن كثير: «قال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة».

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق:٤].

قال ابن كثير: «أي: يسهل له أمره وييسره عليه، ويجعل له فرجًا قريبًا ومخرجًا عاجلًا».

---

(١) «الفوائد» (ص ٧٠).

(٢) «إغاثة اللهفان» (١٣٥/٢).

(٣) «زاد المعاد» (٢٠٢/٤).

وقال ابن رجب[1]: «من حفظ حدود الله وراعى حقوقه تولى الله حفظه في أمور دينه ودنياه.

فمن قام بحقوق الله عليه فإن الله يتكفل له بالقيام بجميع مصالحه في الدنيا والآخرة، فمن أراد أن يتولى الله حفظه ورعايته في أموره كلها فليراع حقوق الله عليه، ومن أراد ألا يصيبه شيء مما يكره فلا يأت شيئًا مما يكرهه الله منه.

كان بعض السلف يدور على المجالس ويقول: من أحب أن تدوم له العافية فليتق الله».

اليقين

قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا». الحديث[2].

قال المباركفوري[3]: «(ومن اليقين)؛ أي: اليقين بك، وبأن لا مرد لقضائك، وبأنه لا يصيبنا إلا ما كتبته علينا، وبأن ما قدرته لا يخلو عن حكمة ومصلحة، مع ما فيه من مزيد المثوبة. (ما تُهَوِّن به)؛ أي: تسهل أنت بذلك اليقين (مصيبات الدنيا)، فإن من علم يقينًا أن مصيبات الدنيا مثوبات الأخرى لا يغتم بما أصابه، ولا يحزن بما نابه».

الإقبال على الله والدار الآخرة

ومما يذهب الهم والغم بسبب الوباء أو غيره: أن يكون الله تعالى مقصد العبد، ورضاه غايته، والدار الآخرة الباقية لا الدنيا الفانية محط نظره وشغل قلبه.

---

(١) انظر «مجموع الرسائل» (١١٠/٣).

(٢) تقدم (صفحة ٧٩).

(٣) «تحفة الأحوذي» (٤٧٥/٩).

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت نبيكم ﷺ يقول:

«مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ الْمَعَادِ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ»(1).

وعن زبد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»(2).

التعرف إلى الله في الرخاء

ومن أعظم الأمور التي توجب تفريج الكروب، وإخراج العبد من المضائق والخطوب: تعرفه إلى الله تعالى في حال سروره وصحته وفراغه، كما قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات:١٤٣-١٤٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا، فقال:

«يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، [تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ]، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»(3).

قوله ﷺ: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ»؛ يعني: احفظ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٥٧ و٤١٠٦) وغيره، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٥) وغيره، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) وغيره، والزيادة لأحمد في «المسند» (٢٨٠٣)، وصححه الألباني. وانظر «التوسل أنواعه وأحكامه» (ص ٣٥).

حقوقه بأدائها، واحفظ حدوده بعدم تعديها، فإن كنت كذلك حفظك الله تبارك وتعالى في أمور دينك ودنياك كلها، فحصل لك كل خير، وانصرف عنك كل شر، ووجدت الله أمامك حافظًا لك في كل أحوالك وأحيانك، في نفسك وجسدك وأهلك ومالك، ووقاك الشرور كلها في جميع ذلك(١).

وقال المناوي(٢): «(تعرف إلى الله)؛ أي: تحبب وتقرب إليه بطاعته، والشكر على سابغ نعمته، والصبر تحت مر أقضيته، وصدق الالتجاء الخالص، قبل نزول بليته. (في الرخاء)؛ أي: في الدَّعة والأمن والنعمة وسعة العمر وصحة البدن، فالزم الطاعات والإنفاق في القربات، حتى تكون متصفًا عنده بذلك معروفًا به. (يعرفك في الشدة)، بتفريجها عنك، وجعله لك من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا، بما سلف من ذلك التعرف، كما وقع للثلاثة الذين آوَوْا إلى الغار، فإذا تعرفت إليه في الرخاء والاختيار، جازاك عليه عند الشدائد والاضطرار، بمدد توفيقه وخفي لطفه، كما أخبر تعالى عن يونس عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴾ [الصافات:١٤٣-١٤٤]؛ يعني: قبل البلاء، بخلاف فرعون لما تنكر إلى ربه في حال رخائه، لم ينجه اللَّجَأ عند بلائه، قال: ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ ﴾ [يونس:٩١].

وقيل: ينبغي أن يكون بين العبد وبين ربه معرفة خاصة بقلبه، بحيث يجده قريبًا للاستغناء له منه، فيأنس به في خلوته، ويجد حلاوة ذكره ودعائه ومناجاته وطاعته، ولا يزال العبد يقع في شدائد وكرب في الدنيا والبرزخ والموقف، فإذا كان بينه وبين ربه معرفة خاصة كفاه ذلك كله». اهـ.

وقال ابن رجب(٣): «(تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة)؛ يعني: أن

---

(١) كما تقدم قبل قليل في فصل «التقوى».

(٢) «فيض القدير» (٢٥١/٣)، باختصار وتصرف يسير.

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص ٤٧٢-٤٧٤).

العبد إذا اتقى الله وحفظ حدوده وراعى حقوقه في حال رخائه، فقد تعرف بذلك إلى الله، وصار بينه وبين ربه معرفة خاصة، فعرَفه ربه في الشدة، ورعى له تعرفَه إليه في الرخاء، فنجاه من الشدائد بهذه المعرفة، وهذه معرفة خاصة تقتضي قرب العبد من ربه، ومحبته له، وإجابته لدعائه.

فمعرفة العبد لربه نوعان: أحدهما: المعرفة العامة، وهي معرفة الإقرار به والتصديق والإيمان، وهذه عامة للمؤمنين.

والثاني: معرفة خاصة تقتضي ميل القلب إلى الله بالكلية، والانقطاع إليه، والأنس به، والطُّمَأنينة بذكره، والحياء منه، والهيبة له، وهذه المعرفة الخاصة هي التي يدور حولها العارفون». اهـ

وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكُرَبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ»(١).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ»(٢).

ويدخل في صنائع المعروف كل خير ندب إليه الشرع، من الصدقة والبر والصلة، والإحسان إلى الخلق بكل وجوه الإحسان، فمثل هذه الأفعال تقي من مصارع السوء، كالحرق والهدم ونحوها من الحوادث، ومن ذلك ما نحن فيه في هذه الأيام من كارثة وباء الكورونا.

وفي الباب حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار، وتوسلوا بأعمالهم

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٨٢) وغيره، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٠١٤) وغيرُه. وهو في «صحيح الترغيب» (٨٨٩).

الصالحة التي سبق لهم أن تعرفوا على الله تعالى بها، ففرج الله عنهم، وقصتهم معروفة مشهورة، في «الصحيحين» وغيرهما.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، وذكر حديث الغار، وقال في آخره: فقال رسول الله ﷺ:

«مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَبِيئَةٌ(١) مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ»(٢).

التوكل على الله

ومن أعظم الأسباب في كشف الوباء عن العباد وقضاء حوائجهم: التوكل على الله عز وجل، فإنه سبحانه وتعالى يكفي من توكل عليه، كما قال تبارك اسمه : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

قال ابن سعدي: «﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ في أمر دينه ودنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾؛ أي: كافيه الأمر الذي توكل عليه فيه». اهـ.

وقال تعالى حاكيًا عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٤-٤٥].

قال الشنقيطي(٣): «﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ دليل واضح على أن التوكل الصادق على الله، وتفويض الأمور إليه، سبب للحفظ والوقاية من كل سوء، وقد تقرر في الأصول: أن الفاء من حروف التعليل، كقولهم: سها فسجد؛ أي: سجد لعلة سهوه. وسرق فقطعت

---

(١) أي: شيء مُخَبّأ مستور مُخْفَى، من عمل صالح، خالص لوجه الله تعالى، لا يعلمه أحد إلا هو.

(٢) أخرجه القُضاعي في «مسند الشهاب»، وصححه الألباني تحت الحديث (٢٣١٣) من «السلسلة الصحيحة».

(٣) انظر «أضواء البيان» (٧/٨٩-٩٠).

يده؛ أي: لعلة سرقته.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون التوكل على الله سببًا للحفظ والوقاية من السوء جاء مبينًا في آيات أُخَر».

قال: «والظاهر أن «ما» في قوله: ﴿سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ مصدرية؛ أي: فوقاه الله سيئات مكرهم وشدائده، والمكر: الكيد». اهـ.

وقد تقدم بعض هذا ضمن أدعية الكرب.

والتوكل هو: اعتماد العبد على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار الدينية والدنيوية، مع الثقة بالله تعالى وبكفايته في حصول ما هو خير للعبد في دينه ودنياه وآخرته.

ويستلزم ذلك الإيمان بقدرة الله تعالى ومشيئته، وأن الأمور كلها بيده، وأن خزائن السموات والأرض لا يملكها إلا هو، ولا يعطيها إلا هو، فلا حول ولا قوة إلا به سبحانه.

ويتبع ذلك الرضا بما يقدّره سبحانه ويقضيه.

والتوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب، فإن العبد مأمور بها، فعن عمرو بن أمية رضي الله عنه قال: قال رجل للنبي ﷺ: أُرسلُ ناقتي وأتوكل؟ قال: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، أَعْقِلُها وأتوكل، أو أُطْلِقُها وأتوكل؟ قال: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»(٢).

قال شيخ الإسلام(٣): «من ترك الأسباب المشروعة المأمور بها، أمر إيجاب أو أمر استحباب، من جلب المنافع أو دفع المضار، قادحٌ في الشرع، خارجٌ عن العقل».

---

(١) أخرجه ابن حبان (٢٥٤٩ - موارد) وغيره، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٧) وغيره، وحسنه الألباني.

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٧٧/٨).

الصبر وانتظار الفرج

ومما يخفف شدة البلاء، ويهوِّن وطأة الوباء: الصبر عليه، وانتظار الفرج، فما من كرب إلا ومعه فرج، وما من داء وإلا وله دواء، وما من عسر إلا ومعه يسر، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥ -٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: كنت رَدِيفَ رسول الله ﷺ فقال: «يَا غُلَامُ (أو: يَا غُلَيِّمُ)، أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ؟» فقلت: بلى. فقال: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ». الحديث. وفي آخره: «وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»[1].

قال ابن القيم[2]: «الصبر إذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة، واستحالت البلية عطية، وصار المكروه محبوبًا، فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته، فإن لله تعالى على العبد عبودية في الضراء كما له عبودية في السراء، وله عبودية عليه فيما يكره كما له عبودية فيما يحب، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون، والشأن في إعطاء العبودية في المكاره، ففيه تفاوت مراتب العباد، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى».

قال ابن رجب[3]: «ومن لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب واليسر بالعسر: أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى وحصل للعبد الإياس من كشفه من جهة المخلوقين تعلق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل على الله، وهو من

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٨٠٣) وغيره، وصححه الألباني في «الصحيحة» تحت الحديث (٢٣٨٢).

(٢) «الوابل الصيب» (ص ٦).

(٣) انظر «جامع العلوم والحكم» (ص ١٨٧).

أعظم الأسباب التي تُطلب بها الحوائج، فإن الله يكفي من توكل عليه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

وأيضًا، فإن المؤمن إذا استبطأ الفرج، وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة، رجع إلى نفسه باللائمة وقال لها: إنما أُتيتُ من قِبلكِ، ولو كان فيكِ خير لأُجبتُ! وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه، واعترافه له بأنه أهل لما نزل به من البلاء، وأنه ليس بأهل لإجابة الدعاء، فلذلك تسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء وتفريج الكرب». اهـ.

وتقدم قوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥].

وقال الشاعر:

مِفتاح باب الفرج الصبرُ ... وكل عسر معه يسرُ

وقال غيره:

إذا تضايق أمرٌ فانتظر فرجًا ... فأصعبُ الأمر أدناه من الفرجِ

وقال آخر:

يا صاحبَ الهمِّ إن الهمَّ منقطعٌ ... لا تيأسنَّ كأنْ قد فَرَّجَ اللهُ

قلت: وقد جاءت فصول هذا الباب مختصرة جدًّا، بقصد ألا أستطرد خارجًا عن موضوع الكتاب، وكونه في الأدعية والأذكار، وأصلها من كتابي «كشف الكرب»، وقد تقدمت الإشارة إلى ما تضمنتْه أو إلى معظمه أثناء فصول الكتاب.

○○○○○

خاتمة

وبعد أخي القارئ، فإن هذا الوباء وعواقبه، سواء كان بفعل فاعل، من أفراد أو جماعات متمكنين، أو دول كبرى متسلطة، وسواء كان خطأ أو عمدًا، وسواء كان مؤامرة سياسية أو ابتزازية، أو لعبة دولية أو عالمية[1]، أيًّا كان ذلك، ومهما كان سببه، ومهما كان هدفه، فهو في النهاية لا يخرج عن كونه تقديرًا لله سبحانه، ابتلى به عباده، ولا يستغنون عن قدرته وقوته تعالى في تحويل ذلك عنهم، فلا يقع في العالم نفع ولا ضر، ولا خير ولا شر، إلا بعلمه تعالى وإذنه، وكل شيء عنده مسطور مكتوب، والحوادث كلها في لوح محفوظ، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل:٧٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس:٦١].

فما على العباد إلا أن يستسلموا لله تعالى، ويذعنوا له، ويستيقنوا أن كل ما يصيبهم فهو بقدره، وأن يقولوا: قدر الله وما شاء فعل، ولْيحرصوا مع هذا على جلب ما ينفعهم، ودفع ما يضرهم، بقدر طاقتهم، ولا يستسلموا للعجز والضعف، ولْيكونوا أقوياء، ولْيأخذوا بأسباب الوقاية والسلامة وُسْعَهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) كما هي آراء وتخيلات بعض الناس! مما لا يهمنا التعريج عليه هنا ولا التكلم فيه.

«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(١).

قوله ﷺ: (فإن لو تفتح عمل الشيطان)؛ أي: تفتح عليك الحزن على ما مضى، والجزع من المقدور، وترك الصبر عليه، وذلك يضر ولا ينفع، وينافي التسليم لأمر الله عز وجل، والرضا بما قدّره، وينافي اليقين بأن ما أصابك فهو بإذن الله تعالى(٢)، وأنه لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

ولْيؤمنوا أنه لا يكشف البلاء، ولا يرفع هذا الوباء، إلا هو سبحانه، ومَنْ دونه لا يملكون كشفه عن قوم ولا تحويله إلى غيرهم، كما قال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء:٥٦].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام:١٧].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس:١٠٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر:٣٨].

وقال سبحانه وتعالى عن خليله عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) وغيره.

(٢) كما قال سبحانه: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن:١١]. قالوا في تفسيرها: «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلِّم».

﴿تَعۡبُدُونَ ۝ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ۝ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء:٧٥-٨٠].

ولينظر العاقل متأملًا، كيف وقفت دول العالم العظمى كلها، بجبروتها وقوتها وحضارتها، وتكنولوجياتها وأسلحتها، وسائر قدراتها، وقفت عاجزة حائرة أمام مخلوق ضئيل لا يرى بالعين المجردة[1]، قد أذلها ووطئها كعملاق عظيم يطأ بقدميه الذرّ!!

فهلّا رجعت البشرية إلى خالقها، واستسلمت لجبروته؟! وعلمت أنه هو سبحانه ذو الجبروت، والملكوت، والكبرياء والعظمة، وقالت كما أمر ربها سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٦].

ماذا تنتظر البشرية بأوبتها، وعلام عوّلت في رجوعها إلى ربها وتوبتها، أتنتظر فناءها لتتوب؟! أم الساعة لتؤوب؟!! ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر:٤٦].

وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج:٥٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [الزخرف:٦٦].

وقال سبحانه: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [البقرة:٢١٠].

وقال سبحانه: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ

---

(١) ذكروا نقلًا عن موقع ncbi، أن فيروس كورونا (كوفيد ١٩) كروي الشكل، وقطره يبلغ حوالي ١٢٥ نانومترا!! وفقًا للعلماء الذين حددوه عن طريق التصوير المقطعي بالميكروسكوب.
والنانومتر عبارة عن جزء من مليون جزء من الملّيمتر!! فعلى هذا فإن قطر كورونا جزء من ٨٠٠٠ جزء من الملّيمتر!!!

رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٨].

وقال الملك الجبار سبحانه: ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم:٤٨].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧].

ولو شاء الله سبحانه لأهلكهم وأهلك من في الأرض جميعًا، ولو شاء لخسف بهم، ولو شاء لأوقع عليهم بأسه وهم في الليل نائمون، أو وهم في النهار يلعبون، فكيف يأمنون مكره، وهم يخالفون أمره، ويُوضِعون في معاصيه؟!!

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۞ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك:١٦-١٧].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ [النحل:٦١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۞ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ۞ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴾ [فاطر:١٥-١٧].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴾ [إبراهيم:١٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۞ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴾ [المعارج:٤٠-٤١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف:٩٧-٩٩].

ولو شاء عز وجل لأنزل عليهم آية من السماء تذلهم وتقهرهم، فيؤمنوا لها قسرًا عنهم، كما قال سبحانه: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ [الشعراء:٤].

عندها لا فائدة من الإيمان! ولا منفعة من الإيقان!

وأنت أيها العبد الصغير الفقير، انج بنفسك، ولا تغرنك حياتهم الدنيا، فقد علمت حقيقتهم وحقيقتها، ولا تشغلنك زينتها وزخارفها عما خُلقت له.

ويا عباد الله، هذه فرصتكم وقد خارت قواكم، وضعفت قدراتكم، في مواجهة هذا الفيروس، وعلمتم أن لا ملجأ من الله تعالى إلا إليه، هذه فرصتكم لتلجؤوا إليه سبحانه، ليكشف عنكم الوباء، ويرحم ضعفكم، ويؤمن خوفكم، ويهديكم إلى ما فيه نجاتكم، ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢].

فالإنابة الإنابة إلى ربكم وإلهكم الواحد القهار، والتوبة التوبة إليه قبل فوات الأوان، والمسارعة المسارعة قبل وقوع المحذور، والمبادرة المبادرة قبل انكشاف المستور.

واعلموا أنه إن لم يلجئكم هذا البلاء إلى الله تعالى مولاكم، ولم يضطركم هذا الوباء إلى التوبة إلى مليككم، فقد والله تُوُدِّع منكم! فابكوا على أنفسكم، ونوحوا على قساوة قلوبكم، فعسى ربكم أن يرحمكم.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه، أنه قال: إن الهَلَكَة كل الهَلَكَة أن تعمل

عمل السَّوْء في زمان البلاء[1].

فالله الله عباد الله في أنفسكم! والله الله في قلوبكم! ارحموها وارأفوا بها، وأخرجوها من ضنك الذنوب ونارها وعذابها، إلى فضاء التوبة وسعتها ونورها، ارحموها قبل مجيء الأجل، وانقطاع العمل.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٥].

وقال سبحانه: ﴿ ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ [الشورى:٤٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»[2].

وعنه رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ»[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه:

«اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»[4].

وعنه رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٢٩/٧).

(٢) أخرجه مسلم (١١٨) وغيره.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٤٧) وغيره.

(٤) أخرجه الحاكم (٣٠٦/٤) وغيره، وصححه الألباني في «تخريج اقتضاء العلم العمل» (ص ١٠٠).

«نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»[1].

قوله ﷺ: (مغبون فيهما)؛ أي: منقوص فيهما، يبيعهما بثمن بخس، ولا ينتهزهما في الخير.

وقال الحافظ ابن حجر عن الطاعون[2]: ومن فوائده تقصير الآمال، و تحسين الأعمال، واليقظة من الغفلة، والتزود للرحلة.

فهـذا يُـوَصِّي بـأولادهِ وهـذا يـودّع إخوانـهُ
وهـذا يهيـئ أشـغالهُ وهـذا يجهـز أكفانـهُ
وهـذا يصـالح أعـداءهُ وهذا يلاطـف جيرانـهُ
وهـذا يوسـع إنفاقـهُ وهذا يحالـل مَـنْ خانـهُ
وهـذا يحبس أملاكـهُ وهـذا يحـرر غلمانـهُ
وهـذا يغـير أخلاقـهُ وهـذا يُغَـيِّر ميزانـهُ

وأخيرًا، نقول كما أمرنا ربنا عز وجل: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة:٥١].

حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا.

تم، والحمد لله رب العالمين، أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، والصلاة والسلام على محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه: محمد شومان الرملي

١٤٤١هـ

(١) أخرجه البخاري.

(٢) «بذل الماعون» (ص ٣٧٨).

الفهرس

الفهرس

معاتبة النفس

تأليف

محمد شومان الرملي

شأن العافية

تأليف

محمد شومان الرملي

الأذكار المضاعفة

تأليف

محمد شومان الرملي

كتب للمؤلف

الخوف من الله تعالى
المشوق إلى ذكر الله تعالى
الفرار إلى الله تعالى
الندامة الكبرى
دعوة الأنام إلى دار السلام
السعي المشكور
كشف الكرب
صفات الزوجة الصالحة
بشرى المتقين
المشوق إلى الحور العين
التحذير من اليمين الغموس
القواعد والفوائد في تزكية النفس
أبواب الجنة
مثل الحياة الدنيا
صفات الأبرار والمقربين
رؤية النبي ﷺ في المنام
دموع القراء
المواعظ الجوزية

الفروق لابن القيم
الفوائد الفقهية لابن القيم
الجزاء من جنس العمل
إحصاء الأسماء الحسنى
قناديل الشهداء
وداع الشهداء
اللؤلؤ المصنوع
أسئلة يوم القيامة
الأذكار المضاعفة
كنوز من تحت العرش
الفردوس الأعلى
سرير المنايا
شأن العافية
معاتبة النفس
غراس الجنة
النوادر الذهبية
الاعتبار بأقوال المحتضرين
أحاديث السنن الأربعة الموضوعة

تم بحمد الله